الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أسلوب التعجب في القرآن الكريم
دراسة دلالية نحوية؛ سورة البقرة أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: اللغة العربية

إعداد الطالبة:
- **أميمة بوعزيز**
- **إيمان بخوش**

إشراف الأستاذ:
أ/ سليم مزهود

السنة الجامعية : 2013/2012

دعاء

يا من تراه العيون ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النّهار، ولا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قبره، ولا حبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيّامي يوم ألقاك فيه.

شكر وتقدير

إنّه لمن واجبنا، إذ أنهينا عملنا هذا، أنْ نتوجه إلى شخصكم الكريم " **سليم** مزهود" بأسمى آيات الاحترام والتقدير، عرفانا لما لقيناه منكم من توجيهات، كان لها أثرها الإيجابي في استكمال البحث.

فتقبّلوا منّا سيّدي المحترم "**سليم** مزهود"، خالص الشكر والامتنان والعرفان، على ما بذلتموه معنا من جهد، أو ما أسديتموه إلينا من نصح وإرشاد، وصدر لا يخلو من حزم، الذي كان من شأنه أن عمّق تجربتنا في حقل المعرفة والبحث

والله الموفق المعين.

إهداء

إلى من قال فيهما الرّحمن: "ولا تَقُل لَهُمَا أُفّ ولا تَنهَرهُمَا وقل لَهُمَا قَولاً كَرِيمًا".

إلى حمامة الروح والقلب النابض .. من حملتني إلى برّ الأمان، ولا تزال رمزا للعطاء والعطف والحنان .. إلى ينبوع الحنان الذي لا ينضب، من لا يكفيها كلّ الكلام .. إلى رمز المحبة والعطف، إلى الملاك الطاهر **أمّي "مليكة"**.

إلى من مهّد لي الطريق، ودفعني لأخطو خطواتي الأولى في هذه الحياة .. إلى السّند الدائم رمز الشجاعة والصّبر .. من تخرص أمام تضحياته الكلمات

إلى أبي الغالي "رشيد".

إلى من أدين لهم بالحبّ والوفاء .. إلى رمز التعاون والإخاء ..

إلى إخوتي؛ إيمان، عصام، أنور، سليمان.

إلى كلّ عائلتي .. إلى كلّ من أكنّ لهم بالإخلاص والمحبّة والصداقة

إلى من كُنَّ لي أخواتٍ في النصيحة؛ **إيمان، فطيمة، لامية، سامية، ياسمينة.**

إلى أخواتي في الغرفة: **فطيمة، عفاف، سمية.**

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

مقدمة

مقدمـة :

نحمد الله حمد الشاكرين على نعمه، وأن جعلنا مسلمين، وجعل العربية لغة القرآن الكريم والدين، إذ هو القائل في محكم التنزيل: {إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون} (يوسف: آية2).

والصلاة والسلام على أفصح البلغاء وصفوة الأنبياء وآله وأصحابه وتابعيهم، ومن نحا نحوهم واهتدى بهديهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الجزاء وبعد:

تعدّ اللغة العربية من أسمى اللغات قدرا وأنفعها أثرا، كيف ولا هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي لا يتأتى فهمها إلا بمعرفتها، بحسبما اتفق عليه العقلاء، ولم ينكره إلا السفهاء. فمعرفة اللغة ضرورة ملحّة، لاسيما في الزمن الذي أصبح أهلها بغيرها من اللغات يفخرون، وبها يسخرون، فحلّت العجمة في ألسنتهم مكان لغة القرآن.

إن اللغة كالشجرة التي تسمو، وتزدهر وتمدّ ثمارها كلما اعتني بها، فهي سلاح وعماد البلاغيين، وأداة المجتهد للدخول في علومها ومباحثها، لذا فليس عجبا أنْ نجد أسلافنا العباقرة قد تفرعوا لها، وجمعوها وأصّلوها في إخلاص وصبر لا ينفذ، وعليه فقد انتظمت قواعدها منذ زمن غابر على أكمل وجه وأحسن حال، مما يجعلنا نقول بكل افتخار أنه لا ابتكار في اللغة، إذ إن كلها مؤصل ومعقد.

فمن قواعد اللغة التي خضنا فيها، واخترناها موضوعا لبحثنا هو "أسلوب التعجب"؛ هذا الأسلوب الذي يندرج ضمن الأساليب الإنشائية غير الطلبية، والذي اشتد حوله الخلاف بين البلاغيين والنحاة، وبين طوائف كل من الفريقين في فهم الجملة التعجبية؛ أخبرية هي أم إنشائية؟ لقد رتب النحويون على هذين الاعتبارين أحكاما نحوية، منساقين في تيار القياس المنطقي على القواعد التي رسموها لكل من الإنشاء والخبر.

ولقد وقع اختيارنا على موضوع البحث الموسوم بـ: "أسلوب التعجب في القرآن الكريم دراسة دلالية نحوية –سورة البقرة أنموذجا–"، لأننا أعددناه بصدق ثمرة رغبتنا الأكيدة، وتوجه يتطلع نحو آفاق الدراسات الأكاديمية المثمرة، والتي تراوحت بين ثراء المضمون

وسحر العرض، متخذةً الفكر روحا تبعت الحياة في الأعمال والبحوث الجادة، وكون هذا الموضوع لم يطرق من قبل، وهذا ما جعلنا نسير قدما لإنجاز هذا البحث الذي زرع فينا روح التمعن والبحث، من أجل التعرف أكثر على أسلوب التعجب، من خلال التعريف به وبأساليبه، وإعراب الصيغ القياسية، وشروط الفعل الذي تبنى منها الصيغ القياسية بناءً مباشرا، وكيفية التعجب من الفعل غير المستوفي للشروط والأحكام، وحذف المتعجب منه، وحكم همزة "أَفْعَل" وهمزة "أَفْعِل"، والسّر في عدم تصّرف فعلي التعجب، والتقديم التأخير، والفصل بين فعل التعجب ومعموله، وعمل "أفعل" بين المعرفة والنكرات، من جهة، ومن جهة أخرى محاولة إبعاد التخوف والرهبة عن قواعد اللغة وأساليبها التي لم ترسخ في ذهن كثير من الطلبة إلا بصعوبة، على الرغم من تطرّق الكثير من النحاة إليها، وقد اخترنا بعضا منها، بمثابة مراجعَ لنا، نحو كتاب "الكتاب" لسيبويه، و"شرح المفصل" لابن يعيش و"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع" لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي، و"النحو الوافي" لعبّاس حسن، و"اللباب في علل البناء والإعراب" لأبي البقاء العكبري، وغيرها من المراجع.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الموضوعي، الذي يتناسب مع خطة البحث التي رسمناها، إذ قسمناه إلى ثلاثة فصول؛ أما الأول فتناولنا فيه مفهوم التعجب، وشروطه وسبل صياغته، وخصائصه، وأما الفصل الثاني؛ فتناولنا فيه المسائل الخلافية النحوية حول صيغ التعجب، وأما الفصل الثالث، فهو تطبيقي؛ إذ خصصناه لدراسة الأساليب التعجبية في سورة البقرة معتمدين في ذلك على مراجع عديدة منها: "صفوة التفاسير" لمحمد علي الصابوني، و"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، و"مختصر تفسير ابن كثير" لإسماعيل بن كثير وغيرها.

أمّا الخاتمة فقد أوردنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، ونرجو التوفيق والسداد من المولى عزّ وجل.

مقدمـة :

نحمد الله حمد الشاكرين على نعمه، وأن جعلنا مسلمين، وجعل العربية لغة القرآن الكريم والدين، إذ هو القائل في محكم التنزيل: {إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلّكم تعقلون} (يوسف: آية2).

والصلاة والسلام على أفصح البلغاء وصفوة الأنبياء وآله وأصحابه وتابعيهم، ومن نحا نحوهم واهتدى بهديهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الجزاء وبعد:

تعدّ اللغة العربية من أسمى اللغات قدرا وأنفعها أثرا، كيف ولا هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي لا يتأتى فهمها إلا بمعرفتها، بحسبما اتفق عليه العقلاء، ولم ينكره إلا السفهاء. فمعرفة اللغة ضرورة ملحّة، لاسيما في الزمن الذي أصبح أهلها بغيرها من اللغات يفخرون، وبها يسخرون، فحلّت العجمة في ألسنتهم مكان لغة القرآن.

إن اللغة كالشجرة التي تسمو، وتزدهر وتمدّ ثمارها كلما اعتني بها، فهي سلاح وعماد البلاغيين، وأداة المجتهد للدخول في علومها ومباحثها، لذا فليس عجبا أنْ نجد أسلافنا العباقرة قد تفرعوا لها، وجمعوها وأصّلوها في إخلاص وصبر لا ينفذ، وعليه فقد انتظمت قواعدها منذ زمن غابر على أكمل وجه وأحسن حال، مما يجعلنا نقول بكل افتخار أنه لا ابتكار في اللغة، إذ إن كلها مؤصل ومعقد.

فمن قواعد اللغة التي خضنا فيها، واخترناها موضوعا لبحثنا هو "أسلوب التعجب"؛ هذا الأسلوب الذي يندرج ضمن الأساليب الإنشائية غير الطلبية، والذي اشتد حوله الخلاف بين البلاغيين والنحاة، وبين طوائف كل من الفريقين في فهم الجملة التعجبية؛ أخبرية هي أم إنشائية؟ لقد رتب النحويون على هذين الاعتبارين أحكاما نحوية، منساقين في تيار القياس المنطقي على القواعد التي رسموها لكل من الإنشاء والخبر.

ولقد وقع اختيارنا على موضوع البحث الموسوم بـ: "أسلوب التعجب في القرآن الكريم دراسة دلالية نحوية –سورة البقرة أنموذجا–"، لأننا أعددناه بصدق ثمرة رغبتنا الأكيدة، وتوجه يتطلع نحو آفاق الدراسات الأكاديمية المثمرة، والتي تراوحت بين ثراء المضمون

وسحر العرض، متخذةً الفكر روحا تبعت الحياة في الأعمال والبحوث الجادة، وكون هذا الموضوع لم يطرق من قبل، وهذا ما جعلنا نسير قدما لإنجاز هذا البحث الذي زرع فينا روح التمعن والبحث، من أجل التعرف أكثر على أسلوب التعجب، من خلال التعريف به وبأساليبه، وإعراب الصيغ القياسية، وشروط الفعل الذي تبنى منها الصيغ القياسية بناءً مباشرا، وكيفية التعجب من الفعل غير المستوفي للشروط والأحكام، وحذف المتعجب منه، وحكم همزة "أَفْعَل" وهمزة "أَفْعِل"، والسّر في عدم تصّرف فعلي التعجب، والتقديم التأخير، والفصل بين فعل التعجب ومعموله، وعمل "أفعل" بين المعرفة والنكرات، من جهة، ومن جهة أخرى محاولة إبعاد التخوف والرهبة عن قواعد اللغة وأساليبها التي لم ترسخ في ذهن كثير من الطلبة إلا بصعوبة، على الرغم من تطرّق الكثير من النحاة إليها، وقد اخترنا بعضا منها، بمثابة مراجعَ لنا، نحو كتاب "الكتاب" لسيبويه، و"شرح المفصل" لابن يعيش و"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع" لجلال الدين بن أبي بكر السيوطي، و"النحو الوافي" لعبّاس حسن، و"اللباب في علل البناء والإعراب" لأبي البقاء العكبري، وغيرها من المراجع.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الموضوعي، الذي يتناسب مع خطة البحث التي رسمناها، إذ قسمناه إلى ثلاثة فصول؛ أما الأول فتناولنا فيه مفهوم التعجب، وشروطه وسبل صياغته، وخصائصه، وأما الفصل الثاني؛ فتناولنا فيه المسائل الخلافية النحوية حول صيغ التعجب، وأما الفصل الثالث، فهو تطبيقي؛ إذ خصصناه لدراسة الأساليب التعجبية في سورة البقرة معتمدين في ذلك على مراجع عديدة منها: "صفوة التفاسير" لمحمد علي الصابوني، و"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، و"مختصر تفسير ابن كثير" لإسماعيل بن كثير وغيرها.

أمّا الخاتمة فقد أوردنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، ونرجو التوفيق والسداد من المولى عزّ وجل.

الفصل الأول

التعجب؛ ماهيته وشروطه

تمهيد :

تعتبر الجملة مكوّنا لغويا يتركب من مسند ومسند إليه، تتجلى وظيفتها في نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار إلى ذهن السامع، فهي إذن وسيلة تستعمل لنقل الأفكار وتبادلها بين الناس أي هي "الصورة اللّفظية للفكرة"[1].

وهذا ما أدّى بالنحاة إلى دراستها والاعتناء بها من حيث ألفاظُها ومعانيها، وفي هذا يقول مهدي المخزومي: "إنّ موضوع الدرس النحوي هو الجملة، وما يعرض لها من ظروف قولية، وما يعرض لأجزائها في أثناء الاستعمال وفي ثنايا التأليف من العوارض، فقد تقع الجملة في سياق نفي أو استفهام أو تعجب، وقد يعرض لأجزائها عوارض مختلفة من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وإضمار وإظهار ومعان إعرابية كالفعالية والمفعولية، كل هذا يقع في حدود الدرس النّحوي، وفي دائرته"[2]؛ فمثلا إذا أراد الدارس أن يدرس أسلوب نفي أو استفهام أو تعجب، كان ملزما بأن يدرس معظم أبواب النّحو العربي، فيجمع ما تفرّق منها، كما سيستعين بآراء علماء المعاني ليحدّد دلالة ما يدرس.

ذلك أن جهود البلاغيين العرب كانت لها مكانتها وتقديرها في دراسة الجملة العربية من حيث الأساليب (نفي، تعجب...)، فهي المكمل الطبيعي لجهود النحاة في هذا الميدان.

ولا يعدُّ هذا إقحاما لعلم المعاني في علم النحو، وإنّما هو منهج يجمع بين الشكل والمضمون[3]، ويستعان في هذا المجال بآراء الجرجاني (471هـ) الذي وضع علم المعاني، إذ يقول: "واعلم أنّ النظم ليس إلا أن يوضع الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ونعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجتها، فلا تزيغ عنها، وتخفض الرسوم التي رسمت لك فلا تحل بشيء منها"[4].

وقد تكون الجملة إما خبرية أو إنشائية، طلبية أو غير طلبية؛ فالأساليب إنما تنحصر في قسمين اثنين هما؛ أساليب خبرية وأساليب استثنائية.

---

[1] – مهدي المخزومي: في النحو العربي. دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ – 1986م، ص83.

[2] – مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، ط1، 1964م، ص70.

[3] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي،ط2، 1997م، ص 75.

[4] – المرجع نفسه. ص77.

ووجه الحصر في ذلك أنّ الكلام إنما يسمى خبريا إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، والمراد بالصادق؛ ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع.

وإن الإنشاء هو بخلاف ذلك، أي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله إنّه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج، وتوقفه على النطق به، سمي كلاما إنشائيا.

وسنقصر كلامنا على هذا القسم الإنشائي، لأنّه هو المقصود في هذا البحث، محاولين أن نوجز ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

Õ **الأسلوب الإنشائي:** ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي. ويُعنى البلاغيون بالإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب.

وقد قُسّمَ الإنشاء الطلبي إلى تسعة أقسام: أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتخصيص، وتمنّ، وترجّ، ونداء[1].

وفي الإنشاء غير الطلبي ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب، أمّا القسم الثاني: أفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح، والذمّ، وصيغ العقود، والقسم، وربّ، وكم الخبرية ونحو ذلك.

ولا يكاد البلاغيون يلقون بالا إلى القسم الثاني؛ أي الإنشاء غير الطلبي، بسبب قلة المباحث فيه، ولأنّ أكثره في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء.

وأمّا النحويون فيوجهون عناية خاصة إلى معظم أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو، بل عقد البعض أبوابا خاصة في كتبهم[2].

وقد ذكر ابن منظور أن سبب وضع باب التعجب في النحو العربي يعود لما حدث بين "أبي الأسود الدؤلي" وابنته، فقد قالت ابنته له في أحد الأيام: "يا أبتِي ما أشدُّ الحرّ!، فقال: إذا كانت الصقعاءُ من فوقكِ والرمضاءُ من تحتك، فقالت: أردت الحرّ شديد، فقال: فقولي ما أشدَّ الحرَّ! فحينئذ وضع باب التعجب في النحو العربي[3]

---

[1] –عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3،1421–2001، ص13

[2] – المرجع نفسه، ص14.

[3] –ابن منظور : لسان العرب، الدر البيضاء، بيروت، لبنان، ج9، ط1، ص 582.

وأمّا سبب اختيارنا لسورة البقرة فهو احتواؤها على أكبر عدد من أساليب التعجب، مقارنة بغيرها من السوّر وبغية معرفة صدى معاني التعجب، وتتبعه في السور الطوال –سورة البقرة–

و"سورة البقرة" هي أول سورة أنزلت بالمدينة، ومن أسمائها غير البقرة؛ "سنام"؛ أي سنام القرآن، وقسطاط القرآن، وذلك لعظمها، ولها جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها، ووجه مناسبتها لسورة الفاتحة، أنّ الفاتحة مشتملة على بيان التربويّة أوّلا، والعبودية ثانيا، وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثا.

كما أن سورة البقرة تشتمل على بيان معرفة الرّبط أولا، وعلى العبادات ثانيا وعلى طلب ما يحتاج إليه في العاجل ثالثًا [1] .

وقد ابتدأها الله بثلاثة أحرف من حروف الهجاء تحدّيا للعرب، وإظهارا لعجزهم على أن يأتوا بمثله، فهذا هو القرآن المعجز الذي أنزله الله على رسوله محمد–صلى الله عليه وسلم–[2].

إذ تحتوي سورة البقرة على مائتي وثمانين وست آيات، كلّها مدنية إلاّ الآية مائتا وواحد وثمانون، فنزلت بمِنَى في حجة الوداع، فالبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل[3] .

المبحث الأوّل: مفهوم التعجب وأساليبه وإعرابه

1– تعريف التعجب:

[1] – محمد حسن عثمان: إعراب القرآن، دار الرسالة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ، ص34.

[2] – المرجع نفسه. ص35.

[3] – محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ط1، ص28.

أ- لغة:

تعددت تعاريف التعجب بين النحاة واللغويين، فمفهومه في اللغة من عجِب، والعُجْبُ والعجبُ هو إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وجمع العجبِ، أعجابٌ، وأصل العجب في اللغة أنّ الإنسان إذا رأى ما ينكره، ويقلُّ مثله، قال عجبت من كذا، والعجبُ الذي تلزم به الحجّة وأمرٌ عجابٌ وعجّابٌ، وعجبٌ عجيبٌ، وعجبٌ عاجبٌ وعجّابٌ على المبالغة، وأعجبه الأمر: سرّهُ، والعُجبُ: الزّهْوُ، والعُجْبُ الذي يجب محادثة النساء ولا يأتي الريبة، والتعجُبُ: أن ترى الشيء يعجبُكَ، وتظنّ أنّكَ لم ترَ مثله والاستعجابُ: شدّة العَجبِ.[1]

وقيل؛ التعجُبُ، حيرة تعرّضِ للإنسان عند سبب جهل الشيء وليس هو سببا، بل هو حالة بسبب الإضافة إلى من يعرف السبب، وبعضهم خصّ التعجب بالحسن[2].

وتشتق لفظة التعجب من العَجْبُ والعجَبُ؛ أي إنكار ما يرد عليك لقلة اعتباره، وجمعُ العجبِ أعجابٌ، قال الشاعر:

يا عجبًا للدّهرِ ذي الأعجابِ الأحدب البُرْغُوث ذي الأنيابِ

وقد عَجِبَ منه يعْجَبُ عَجَبًا، وتعجب واسْتَعْجَبَ، ومنه قول الشاعر :

ومُسْتَعْجِبٍ ممّا يرى أناتنا ولوز بنتْهُ العربُ لم يتَرَمرَمِ

والاستعجابُ؛ شدة التعجب

وفي قوله تعالى:" بل عجِبْتَ ويسخرونَ"، قرأها حمزة والكسائي بضم التاءِ، وكذا قراءة علي ابن أبي طالب وابن عباس وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو: "بل عجبْتَ" بفتح التاء[3]

والعجبُ إن أسند إلى الله، فليس معناه من الله كمعناه من العباد.

قال الزجاج:" أصل العجب في اللغة، إنّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقلّ مثله قال: عجبْتُ من كذا، وعلى هذا المعنى قراءة من قرأ بضم التاء، لأن الآدمي إذا فعل ما

---

[1] – محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير. ص 582.

[2] – محمد مرتضى الحسين الزبيدي: تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط2، 1306هـ، ص 367.

[3] – ابن منظور: لسان العرب، ص48-49.

ينكره الله جاز أن يقول فيه عجبت، والله –عز وجل– قد علم ما أنكره قبل كونه، لكن الإنكار والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء"[1].

قال ابن الأنباري: بل عجبتَ، أُخبر عن نفسه بالعجب، وهو يريد بل جاز يتهم على عجبهم من الحق، فسمي فعله باسم فعلهمْ.

وقيل: بل عجبت، معناه بل عظُم فعْلهم عندك. وقد أخبر الله عنهم في غير موضع بالعجب من الحق، فقال:"أكان للناس عجباً"، وقال: {"بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم، وقال الكافرون: "إنّ هذا الشيء عجابٌ"}.

وقولهم:"عجبٌ عاجبٌ، كقولهم ليلٌ لائلُ، يؤكد به، وقوله أنشده ثعلب:

وما البخلُ ينْهاني ولا الجُودُ قادني ولكنّها ضربٌ إلي عجيبْ

أي؛ ينهاني ويقودُني، أو نهاني وقادني، وإنّما على عجيب بالي لأنه في معنى حبيب، فكأنه قال: حبيبٌ إلي.

وقوله تعالى: " وإن تعجب فعجب قولهم".

والخطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– أي هذا موضع عجب حيث أنكروا البحث.[2]

والتعجب مما خفي سببه ولم يعلم، أي أن ترى الشيء يعجبك، تظن أنك لم تر مثله، وقولهم : للّه زيد! كأن جاء به اللّه من أمر عجيب لكثرته.

وفي التنزيل:" إنّ هذا لشيءٌ عجابٌ"، وقرأ أبو عبد الرحمان السلمي: "إنّ هذا لشيءٌ عُجَّابٌ"، بالتشديد وأعجبه الأمرُ؛ أي سرَّه.

وللتعجب في العربية طريقتان:

– الأولى: استعمال مركبات لفظية غير مطردة، سمعت عن العرب للتعبير عن التعجب، كقولهم: "لله دره فارسا! ولله أنت! ياالك من رجل!

يقول الشاعر: يا سيدا!، ما أنت من سيّدٍ موْطأ الأكناف رحب الذراع

– الثانية: استعمال أبنية مركبة قياسية، إذ إن للتعجب بناءين مركبين قياسيين هما:

أ– بناء (ما أفعله): ما أجمله!، ما أكرمه!.

ب–بناء (أفعل به): أجمل به!، أكرم به![1].

---

[1] – محمد خير الحلواني: المنجد في الإعراب والبلاغة والإملاء، مكتبة دار الشرق، ط4، ص174.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، ص50.

يقول ابن الناظم: "والمبوب له في كتب العربية صيغتان (ما أفعله)، و(أفعل به)، لإطرادهما في كل معنى يصح التعجب منه"[2]

ب- اصطلاحا:

أمّا التعجب اصطلاحا فهو استعظام زيادة في وصف الفاعل، خفي سببها، وخرج بها المتعجِّبُ منه عن نظائره، أو قلّ نظيرهُ، وقيل هو استعظام، وفعل فاعل ظاهر المزية فيه[3]، وقيل هو استعظام زيادة في وصف المتعجب منه، تفرد بها عن أمثاله، أو قلّ نظيره فيها، وقد خفي سببها، مع التعبير عن ذلك بكلام يدل على الدهشة والاستغراب، وقيل هو شعور داخلي تنفعل به النفس، حين تستعظم أمرا نادرا، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة، وقد يكون للشعور الداخلي أثار خارجية، كالتي تظهر على الوجه أو غير ذلك، ولهذا يقال: إذا ظهر السبب بطُل العجبُ، ولهذا لا يوصف اللّه تعالى بأنّه متعجبٌ، إذ لا يخفى عليه شيء، وإذا ظهر التعجُب في قوله تعالى، أو الحديث الشريف ما ظاهرهُ أنّه للتعجُّب، فيكون المراد؛ إمّا توجيه المراد إلى العجبِ والدّهشة، وإمّا إلى الرّضا والتسليمُ[4].

وإذا أصغينا إلى محاضرة دينية كان موضوعها " أهوال القيامة" يتحدث فيها عن يوم البعث والحشر والحساب، أو شاهدنا بئرا يجف ماؤه فجأة، كان هذا أمرا باعثا على الدهشة وانفعال النفس به، واستعظامها إياه، لخفاء سره وعدم وجود نظير له، أو قلة نظائره، وقد يعبّر الناس بأنه أمر عجيب، أو غريب أو مثير، أو نحو هذا من العبارات التي يريدون منها ما يسميه اللغويون "التعجب"، ويعرفونه بقولهم إنه "شعور داخلي تنفعل به النفس حتى تستعظم أمرا نادرا، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة أو خفي السبب".[5]

---

[1]– سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط1، 2003، ص445،446.

[2] – ابن الناظم أبو عبد الله بدر الدين: شرح ابن الناظر على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1420هـ– 2000م، م1، ط1، ص326.

[3] – عباس حسن. النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج3، ط12، 1980، ص348.

[4] – علي بن مؤمن ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج3،ط1،1998م، ص36.

[5] – عباس حسن: المرجع السابق. ص 339.

ولهذا يقال إذا عرف السبب بطل العجب، ولهذا أيضا لا يوصف جل شأنه بأنه متعجب، إذْ لا يخفى عليه شيء، وإذا ورد في كلامه سبحانه أو الحديث الشريف، أو غيرهما ما يدل على أنه يتعجب، فالمراد إمّا توجيه السامعين إلى إظهار العجب والدهشة، وإمّا المراد اللازم؛ وهو الرضا والتعظيم أو نحو ذلك من الأعراض البلاغية ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه الأشياء كلها، والتعجب أسلوب إفصاحي، يعبّر عن شعور تنفعل به النفس حين تستعظم أمرا أو ظاهرة ما، قال الرضي: "واعلم أن التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه"[1].

وقد اختلفت التعاريف حول التعجب فهناك من ذهب إلى أن التعجب هو استعظام فعل ما أو استحسانه، ويأتي على صورتين، أما الأولى؛ فلا ضابط لها إذ يأتي التعجب فيها، بحسب القرينة الدالة في الكلام، كقوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) {البقرة آية 78}، وأما الصورة الثانية؛ فهي صورة قياسية، ولها فعلان محددان هما: (ما أفعله) و(أفعل به)[2].

أساليب التعجب:

" أسلوب التعجب من الأساليب الإنشائية غير الطلبية والمهمة في اللغة العربية، كثيرا ما نستخدمه فيما نعبّر به كلاما وكتابة، وقد تطرقنا إلى مفهومه اللغوي والاصطلاحي، والسؤال المطروح هو: ما هي صيغ التعجب؟.

لقد اشتد الخلاف بين البلاغيين والنحاة، وبين طوائف كل من الفريقين في فهم الجملة التعجبية. أخبرية أم إنشائية؟.

ورتب النحويون على هذين الاعتبارين أحكاما نحوية، منساقين في تيار القياس المنطقي على القواعد التي رسموها لكل من الإنشاء والخبر.

[1] – جمال الدين محمد ابن مالك: شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج2، ط1، 1420ه، 2000م، ص307

[2] – عبد علي حسين صالح: النحو العربي، دار النشر عمان دار الفكر، ط2، ص452

õ **أنواع التعجب :**

إن للتعجب صيغتين هما :

أ- صيغ سماعية.

ب-صيغ قياسية[1].

أوّلا: التعجب السماعي؛

هذا النوع مطلق لا تحديد، ولا ضابط له، وإنما يترك لمقدرة المتكلم، ومنزلته البلاغية، ويفهم بالقرينة، أمّا أساليبه فهي تلك الأساليب التي وضعت أصلا لغير التعجب، ثم تدل عليه بالاستعمال المجازي، فالألفاظ المنطوقة لا علاقة لها بالتعجب، فهي مستعملة في اللغة لغيره، ومعاني هذه الألفاظ -في الأصل- لا يفهم منها التعجب، لكنها دلت عليه دلالة عارضة عن طريق المجاز، وظروف النطق[2].

وهذا النوع من التعجب لم يبوّب له في كتب النحاة.

والمتبع لأساليب القول العربي يجد فيها ضروبا سماعية شتى تدل على التعجب ومنها:

1- لله دره!، لله دره فارسا، سبحان الله!، ونحو ذلك ممّا ورد فيه لفظ الجلالة والقصد به التعجب.

2- ومنها ما بلغ بصيغة الأمر. كقولهم: أعجبوا لزيد فارسًا! وانظروا إليه راميا!.

3- أو بصيغة اسم الفعل كما في قوله: واهاً لسلمى ثمّ واهًا واهًا! .

4- أو بصيغة النداء. يقول امرؤ القيس:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل سُدت ببديل.

وقول آخر:

يا شاعرا لا شاعرَ اليوم مثله جرير ولكن في كليب تواضع[3] .

---

[1] - عباس حسن: النحو الوافي، ص 348.

[2] - المرجع نفسه، ص 349.

[3] - محسن علي عطية: الأساليب النحوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، ص 87.

5- أو بصيغة الاستفهام. نحو قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم" البقرة [26].

ويقول شوقي يخاطب تمثال أبي الهول:

إلامَ ركُوبُكَ متنَ الرمَال لطيّ الأصيل، وجوب الشحرَ؟.

6- أو بصيغة النفي. في قول الأعشى:

يا جارتَا ما أنت جاره.

في تقدير "ما" النافية. وكقولهم: ما رأيت كاليوم رجلاً، كالليه قمرا.

7- ومنها: شدَّ (فعل ماضي يفيد التعجب من شدة الأمر) في نحو:

شدّ ما يفخر اللئيمُ بأصوله.

8- ومنها كلمة: "عجبَ: مصدرا، ومشتقاته، مثل: عَجِبَ، وعَجيبٌ"، يقال: عَجِبْتُ لمن يشتري المماليك بماله، ولا يشتري الأحرار بكريم فعاله.

9-ومنها: "سبحان الله" التي تصاحبها قرينة تدل على أن المقصود منها التعجب، كقول رجل سُئل عن اسمه (سبحان الله! تجهلني، والخيل والليل والبيداء تعرفني....)[1]. وقوله تعالى: "قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا" سورة البقرة[32].

وهذه الأساليب كلها سواء أكانت بصيغة الخبر أو بصيغة الإنشاء قد نقلت من معناها الأصلي إلى إفادة معنى التعجب.

وكذلك هذه الأساليب لم يبوب لها في كتب النحو، لأنها سماعية وإنما المبوب له صيغتان: ما أفعله وأفعل به[2].

õ **أقسام التعجب السماعي:** ينقسم التعجب السماعي إلى قسمين:

أ-**التعجب بالجملة الإنشائية؛** ويشتمل على التعجب بالنداء، والتعجب بالاستفهام، وبالدعاء والتعجب بأسماء الأفعال.

---

[1] – عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار النشر مكتبة الخانجي، مصر، 1979، ط2، ص94.

[2] – حسن عباس: النحو الوافي، ص 340.

ب-التعجب بالجملة الخبرية؛ ويشتمل على الجملة الخبرية المثبتة، ونجد فيه التعجب بلفظ الجلالة (سبحان الله، لله درك)، والتعجب بـ (ما)[1]،

ثانيا: التعجب القياسي؛ وهذا النوع هو الذي جعل النحاة يضعون له-في كتبهم- بابا، وله صيغتان هما؛ (ما أفعله)، (وأفعل به)، فعند التعجب من قولنا (جَمُلَ النّرجِسُ) نقول: ما أجملَ النّرجسَ! أو أجمِلْ بالنرجسِ!.

يقول ابن مالك في التعجب وطريقة صوغه :

بـ (أفْعلَ) انطق بعد (ما) تعجّبا أوجيء ب (أَفْعِل) قيل مجرور بما
وتلْو (أفعل) انْصِبنّهُ كَ (مـــا أَوْفَى خَلِيلَيْنَا وأَصْدق بهـــــــــما
و(ما) هُنَا ارْفَعْ بابتداءٍ والخبَـرْ (أَفْعَلَ) رافعًا ضميـــــــــرًا اسْتَتَرْ
وكَ (الذي أَفْعَل): (ما أَفْعَل في رأي وَهَى به سَعِيدٌ اُقْتُفِي
والصِّيغتين انْسِبْ إلى الفعليّهْ وبَرُئَنْ (أَفْعِلْ) منَ الأَمْرِيّهْ
بل هُوَ في القولِ الأَصَحُ خَبَرُ ما يليه فاعلا يُقَدَّرُ
وحذْفُ ذي اليا لا نُجِزْ وربَّما تُزالُ معْ مجرُورها إنْ عُلِمَا
وربّما اُسْتُغْنِي بعْد (أَفْعَلاَ) للعِلْم عن منصوبه فاخْتُزِلاَ
وفِعلَى التعجُّبِ الْزَمْ فيهِمَا مَنْعَ تَصَرُّفٍ لزُومًا حُتِما
وصُغْهُمَا من ذي ثَلاَثٍ صُرِّفا قابل فَضْلٍ ثمَّ غيْرَ ذي انْتِنَا
وغير ذي وَصْفٍ يُضَاهِي(أَفْعَلاَ) وغير سالكٍ سبيلَ (فُعِلاَ)
وإن تُرِدْ تعجُبا بغير مَا حازَ الشروط فالْتَزِمْ ما الْتُزِمَا
من ذِكَرِ (أَشْدِدْ) أو (أَشَدَّ) بَعْدَ (مَا) أو ما يؤدّى بهما
وبعدَ مصدرِ المَعُوقِ يَنْتَصِبْ أو جيءَ به مُنْخَفِضًا بالبَا تُصِبْ
كـ (ما أشدَّ عُجْبَهُ) و(أَشْدِدِ بِعُجْبِهِ، وباغْتِرَارِ المفْسِدِ)
نَادِرٌ مُخَالِفٌ لمَا ذُكِـرْ كصَوْغِ (أخصَرهُ) من (اخْتُصِرْ) [2]

- **شروط صيغ التعجب:**

---

[1] – عباس حسن : النحو الوافي، ص349.

[2] – جمال الدين محمد عبد الله ابن مالك: شرح الكافية الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1420هـ، 2000م، ص485.

1- لا يصاغ التعجب بصيغتيه القياسيتين (ما أفعلَه)، و(أفعلْ به)، إلاّ من فعل مستوفٍ لشروط هي:

أ) أن يكون هذا الفعل ثلاثيا، فلا يبنيان ممّا زاد عليه نحو "دحرجَ"، و"انطلق" أو "استخرج"

ب) وأن يكون متصرفا، فلا يبنيان من فعل غير متصرف، كـ "نعم" و"بئس"، و"عسى"

ج) معناه قابلا للمفاضلة، فلا يبنيان من" مات" و"فتي" ونحوهما، إذ لا مزية فيهما لشيء على شيء

د) أن يكون تاما، وقد احترز بذلك من الأفعال الناقصة، نحو"كان" وأخواتها، فلا نقول:" ما أَكْوَنَ زيدا قائما"

هـ) أن يكون مبنيا للمعلوم، مثبتا،

و) أن لا يكون الوصف منه على "أفعل" واحترز بذلك من الأفعال الدالة على الألوان كـ: سَوِدَ فهو أسود، ولا نقول: مَا أَسْوَدَهُ[1].

2- لا يجوز تقديم المتعجب منه على صيغتي التعجب وذلك لعدم تصريفهما فلا نقول: زيدا ما أحسن، ولا ما زيدا أحسن، ولا بزيد أحسن[2].

3- لا يفصل بين فعلي التعجب وبين المتعجب منه بفاصل غير متعلق بهما، فإن تعلق بهما جاز الفصل إذ كان الفاصل ظرفا أو جارا ومجرور، نحو: ما أحسنَ اليوم إنشادك**!**[3].

4- ويشترط في المتعجب منه أن يكون مختصا بالتعريف، أو بأي نوع من أنواع التخصيص.

- **مفهوم الصيغ القياسية للتعجب:**

يقصد بها التعجب الذي يتم بصيغ يقاس عليها[4] .

---

[1] – محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل، دار التراث، القاهرة، مصر، ج3، ط20، 1400هـ،- 1980، ص152.

[2] – مصطفى الغلايين: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ج1، ط28، 1993م، ص 72.

[3] – حسن عباس: النحو الكافي. ص 358.

[4] – محسن علي عطية: الأساليب النحوية، ص87.

يقول ابن الناظم: "والمبوب له في كتب النحو صيغتان (ما أفعله)، و(أفعل به) لاطرادهما في كل معنى يصح التعجب منه"[1].

ويقول ابن مالك :

بأفعلَ انطقْ بعد "ما" تعجُّبا أو جئْ بـ"أفعلْ" قبل مجرور ببَا

ويلْوَ أفعلَ انصبنهُ: كـ "مـا أو في خليليْنَا، وأصــدقُ بهما"

فالصيغ القياسية: إحداهما "ما أفعله"، والثانية "أفعل به"، وإليهما أشير في البيت السابق، أي انطق بـ "أفعل"، بعد "ما" للتعجب، نحو: "ما أحسن زيدا!"، و"ما أوفى خليليْنا!" أو جئْ بـ "أفعِلْ" بعدهُ اسم مجرور بحرف "الباء"، نحو: "أحسن بالزيدين، وأصدق بهما"[2].

الصيغة الأولى؛ ما أفعله: إذا قيل: ما أحسن زيدَ! وما أجمل السماءَ!.

اختلف النحويون في تخريج كلمة "ما"، فقال بعضهم إنها موصولة، وقال آخرون إنها استفهامية مشوبة بالتعجب، ومنهم من قال بأنها نكرة موصوفة، فـ"ما" ليست اسم استفهام، وليست اسم موصولا، لكنّها اسم تعجب؛ أصبحت خالصة لهذه الوظيفة، وهي بذلك معرفة، بل نكرة تامة، لان معناها هنا، هو: (شيء)، أو (شيء عظيم)[3].

ويقول سيبويه: هي نكرة تامة بمعنى شيء.

كما يرى الأخفش أن "ما" معرفة ناقصة؛ والمعرفة الناقصة هي أسماء الموصول لأنه يحتاج إلى ما بعده ليكون صلة[4].

غير أن الفراء وابن درستويه ذهبا إلى أن "ما" استفهامية مبتدأ، والجملة التي بعدها خبر عنها، والتقدير: أي شيء أحسن زيدا.[5]

فـ "ما" في التعجب؛ اسم مبتدأ في موضع رفع تام نكرة تقديره "شيء"، وخبره جملة فعلية، كقولنا: "ما أحسن زيدا!" أو "الزيدَين، أو الزيدين"، فالمنصوب على المفعولية هو المتعجب منه، وأصله أن يكون فاعلا بفعل ثلاثي على وزن "فَعُلَ" بفتح الفاء وضم العين بالأصالة، أو مصيرا على وزنه فلا يتعدى إلاّ بهمزة النقل، فإذا زاد فعله على

---

[1] – سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي. ص445.

[2] – مجد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل، ص 154.

[3] – عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، ص309.

[4] – جمال الدين محمد ابن مالك: شرح الكافية الشافية، ص310.

[5] – ابن علي بن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج7، ص149,.

ثلاثة أحرف أضيف مصدره إليه، وبنيت له صيغتهُ "أفعل" من فعل ثلاثي يليق بالمعنى توصلا إلى المتعجب منه، كقولك: "ما أشدَّ انطلاق زيد!"، و"ما أنقى بياض ثوبه!"

وكذلك تبينها للخلق الثابت، والعيوب الظاهرة، توصُلا إلى المتعجب منها، كقوله: "ما أكبر رأسه!" و"ما اسوأ عرجه!"[1] .

والذي أرجحه ما ذهب إليه الفراء وابن درستويه، بأنها استفهامية متضمنة معنى التعجب، وهذا لأمرين:

الأول: لأن أبلغ أساليب التعجب ما كان منقولا عن الاستفهام، نقول : ما هذا الجمال! وما ذاك الحسن، وفي هذا يسأل المتعجب عن سبب الحسن إشارة إلى أن للحسن أسباب كثيرة تستدعي السؤال.

أمّا **الثاني:** فإن "ما" بمعنى الاستفهام لا تحتاج إلى تقدير محذوف، وبمعنى الموصولة تحتاج إلى تقدير الخبر أي شيء عظيم، ولا يخفي ما في ذلك من تكلف[2].

ثم ننتقل إلى "أفعل" فنجد فيها خلافا بين البصريين والكوفيين من حيث اسميتها وفعليتها، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.

الصيغة؛ ما أفعل: فعل ماضي، ثلاثي، يشتمل هذا المعنى الذي يراد التعجب منه، ثم نجعل هذا الماضي على وزن "أفعل"، وقبله "ما" الاسمية التي هي مبتدأ [3].

وعلامة التعجب: وهي تسمى "ما التعجبية" وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره: "هو" يعود على "ما" وبعده اسم منصوب هو في ظاهره أو في إعرابه مفعول به، ولكنه في المعنى فاعل، إذا كان في الجملة.

وفي الحقيقة فإن التعجب أصله فاعلٌ، نحو: ما أضخم هرم الجيزة!، والأصل ضَخُمَ أهرمُ[4].

الصيغة الثانية؛ أفعل به: لا خلاف بين النحويين في فعلية "أفعل"، في قولهم: "أحسن بزيد!

---

[1] – أمين الدين أبي بكر، محمد بن علي المحلي: مفتاح الإعراب، دار ابن حرم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص 33-54.

[2] – عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، ص 309.

[3] – عباس حسن: النحو الوافي،ص 341,

[4] – عباس حسن : النحو الكافي، ص342.

يقول البصريين في: أحسن بزيد!، يلزم منه شذوذ من أوجهٍ هي:

أحدهما: استعمال (أفعل) للصيرورة قياسا، وليس بقياس، وإنما قلنا ذلك، لأن عندهم أن أفعِل أصله أفْعَل بمعنى صار كذا.

الثاني: وقوع الظاهر فاعلا لصيغة الأمر بغير لام.

الثالث: جعلهم الأمر بمعنى الخبر.

الرابع: حذف الفاعل في نحو: "أسمِعْ بهم وأبصِرْ"[1].

- فقد كان الاختلاف في هذه الصيغة أي أفعل، أهو فعل أمر لفظا ومعنى، أم هو فعل أمر لفظا فقط؟[2].

فالذي ذهب إليه الفراء وتبعه الزمخشري وابن كيسان وابن خروف، أن "أفعل"؛ فعل أمر حقيقة لفظا ومعنى، وعليه فإذا قال المتكلم: أحسنْ بزيد، يكون قد أمر كل واحد بأن يجعل زيدا حسنا، وإنما يجعله حسنا كذلك بأن يصفه بالحسن، وكأنّه قال: صِفْ زيدا بالحسن كيف شئت، فإن فيه كل ما يمكن في شخص حسن، كما قال أبو الطيّب المتنبي:

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقلْ.

وقد فهم ابن كيسان وحده أنّ الضمير في الفصل راجع إلى المصدر المفهوم من فعل التعجب، فالتقدير في أحسن: أحسن يا حُسن بزيد؛ أي دُمْ به والزمه.

والذي ذهب إليه جمهور البصريين أن هذه الصيغة أمر في اللفظ لكنّها الماضي في المعنى، أتى على صيغة الأمر في المبالغة، فالأصل: أحسن بزيد، صار زيد ذا حسنٍ.

وأفعل به: "أفعل"؛ فعل باتفاق، لفظهُ لفظُ الأمرِ، ومعناه التعجب، وهو خالٍ من الضمير، وأصل قولك: أحسن بزيد!، أحسَنَ زيدٌ: أي صار ذا حسن، كما قالوا: أورَقَ الشَجَرُ؛ بمعنى صار ذا ورق، وأَزْهَرَ البستَانُ؛ أي صار ذا زهر، وأَثْرَى فلان؛ أي صارَ ذا ثراءٍ، وَأَتْرَبَ زَيْدٌ، أي صار ذا متربة، وأغدَّ البعيرُ، أي صار ذا غدةٍ (الغدة: طاعون

---

[1] – مريم: الآية 38.

[2] جلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، ج3، ط3، 1423هـ–2003م، ص 200– 201.

يصيب الإبل فتنشأ تآليل خراج)، فضمّن معنى التعجب، وحولت صيغته إلى صيغة "أفْعلْ" – بكسر العين– فصار: أحسِنْ زيْدٌ، فاستُقْبِحَ اللفظ، بالاسم المرفوع بعد صيغة فعل الأمر، فزيدت الباء لإصلاح اللفظ، فصار أحسنْ بزيد، على صيغة أمررْ بزيد، فهذه الباء تشبه الباء في قوله تعالى: "كفى بالله شهيدا". النساء آية [87]. في أنها زيدت في الفاعل، ولكنها تخالفها من جهة أنّها لازمة وتلك جائزة الحذف[1].

وبهذا فـ "أفعل به"؛ فعل ثلاثي لازم مشتمل على المعنى الذي يراد التعجب منه وجُعل هذا الفعل على وزن "أفعِل"، وبعده باء الجر، نجرّ اسما ظاهر، أو ضميرا متصلا بها، وكلاهما هو الذي يختصُ بمعنى الفعل، ففي المثال: أضخم بهرم الجيزة! كما يقال: ضَخُمَ الهرم أي صار الهرم ذا ضخامة عجيبة، فالصيغة "أفعل به" جاءت في الظاهر على صورة الأمر وهي في الحقيقة فعل ماض، أي يرادُ في ظاهره وفي الحقيقة للتعجب

كما يلاحظ أن صيغة "أفعِلْ" هذه جامدة مع أن فعلها الأصلي ثلاثي متصرف، ولكنه يفقد التصرف بسبب استعماله في التعجب2.

3- إعراب التعجب:

أ- **إعراب صيغة (ما أفعلَ)**؛ ومثال ذلك: ما أجملَ الوردةَ الناضرةَ! أمّا النوع "الاصطلاحي" أو"القياسي، فصيغتان "ما أفعله" و"أفعل به"؛ وهذان وزنان يستعملان عن إرادة التعجب من شيء تنفعل به النفس على الوجه الذي شرحناه، فعند التعجب من الجمال الباهر مثلا، أو الضخامة البالغة أو القصر المتناهي، أو غيره، فنأتي بأحد الأسلوبين القيّاسيّين.

أولهما: الفعل الماضي الثلاثي (وقد يصاغ من الرباعي الذي على وزن أفعلَ) يشتمل على المعنى الذي يراد التعجّب منه، ثمّ نجعل هذا الماضي على وزن: "أفْعَلَ"، وقبله "ما" الاسمية التي هي مبتدأ، وهي وعلامة التعجب، ولذا تسمى "ما التعجبية"، وتقديمها على هذا الماضي واجب، وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره "هو" يعود على "ما" وبعده اسم منصوب هو في ظاهره وفي إعرابه مفعول به، ولكنّه في المعنى فاعل[2].

---

[1] – عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، المكتبة التجارية الكبرى، ج11، ط1، 1383هـ-1963، ص 320. 322

[2] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 431.

(ولا يصلح التعجب إن كان المفعول به حقيقيّا في أصله- قد وقع عليه فعل الفاعل- ففي المثال: سقى المطرُ الزرعَ لأنّ المفعول به حقيقي، وليس فعلا في المعنى) – وفي الحقيقة- التعجب فاعل، نحو: ما أجمل الوردة الناضرة! وما أضخم هرم الجيزة! وما أكثر سكان المنطقة القطبية! وما أعلى جبالها!! عند إرادة التعجب من كبر قارة آسيا، وسعتها وغزارة سكانها، والإعراب كما سبق تماما وكذلك المفعول به[1].

و"ما" التعجبية في هذه التراكيب – ونظائرها- هي نوع من "النّكرة التامّة" (يريدون بالتنكير، أنّها بمعنى "شيء"؛ أي شيء وبالتمام، أنّها لا تحتاج إلاّ للخبر، فلا تحتاج بعدها إلى نعت أو غيرها من القيود، وتنكيرها أفاد إبهاما جعلها في أسلوب التعجب بمعنى "شيء عظيم" وعلى هذا تكون "النكرة التامة"، هي النكرة المحضة الخالصة من كلّ قيدٍ، أمّا المقيّدة بنعت أو غيره من القيود" نكرة ناقصة" وذهب بعضهم إلى أنّ (ما) نكرة ناقصة (النكرة الناقصة: هي التي تحتاج إلى بعدها ليكون صفة لها)؛ أي موصوفة: مبتدأ، والجملة التي بعدها صفة لها، والخبر محذوف، والتقدير: شيء أحسن محمد عظيم، في الجملة: ما أحسن محمّدا[2].

ونجد (ما) مبتدأ، وهي نكرة تامة عند سيبويه والنكرة التامة: هي التي لا تحتاج إلى ما بعدها ليكون صفة[3].

وتتضمن بذاتها معنيين معا، أو أنّها ترمز إليها معا، وهما؛ توجيه الذهن إلى أنّ ما بعدها عجيب، وإلى أنّ الذي أوجده عظيم، ويصفها النحاة بأنّها "نكرة تامة" والماضي بعدها جامد لا محالة، ومع أنّه في أصله ثلاثي متصرّف، ولكنّه يفقد التصرّف باستعماله في التعجب رباعيا على وزن "أفعل"، كما يفقد في الأرجح الدلالة على الزّمن إن لم توجد قرينة تدلّ على الزّمن.

ثانيهما: فعل ثلاثي لازم مشتمل على المعنى الذي يراد التعجب منه، ونجعل هذا الفعل على وزن "أَفعِلْ" وبعده باء الجرّ، يجرّ اسما ظاهرا أو ضميرا متصلا بهاء وكلاهما هو

---

[1] – المرجع نفسه. ص 432.

[2] – أبو محمد سعيد بن الدهان النحوي: شرح الدّروس في النّحو، ص 374.

[3] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج4، ط2، 1982، ص37.

الذي يختص بمعنى الفعل في الأمثلة السابقة: أجْمِلْ بالوردة الناضرة ! وأَقْصِرْ بسكان المناطق القطبية!، أَكْبِرْ بقارة آسيا!، وأَوسِعْ بها!، وأَعْزِزْ بسكانها ! وأكْثِرْ بهم! [1].

ب-إعراب صيغة "أَفْعِلْ به": نحو: "أجْمِلْ بالوردة الناضرة"، ففيه وفي نظائره إعرابان:

1-أن نقول: "أَجْمِلْ" فعل ماض على صورة الأمر (أي على شكله الظاهر فقط، دون الحقيقة المعنوية).

بالوردة: الباء: حرف جرّ زائد (وزيادته في هذا الموضع لازمة، فلا يمكن الاستغناء عنه بشرط أن يكون المجرور به اسما صريحا، لا مصدرا مؤولا من (أَنْ) و(أن) وصلتهما، إذ في هذه الوردة المصدرية، لا يجوز إلاّ مع (أن) الناسخة في رأي حذف حرف الجرّ.

"الوردة"؛ فاعل مجرور بالباء لفظا، ولكنّه في محل رفع على الفاعلية، و"الناضرة" نعت، إمّا علامته الكسرة تبعا للفظ الفاعل المنعوت، وإمّا مرفوع علامته الضمة تبعا لمحل المنعوت، ويكون المراد هو: جمُلَتْ الورود، أي صارت ذات جمال عجيب، وضَخُمَ الهرم؛ أي صار ذا ضخامة عجيبة، وقصر سكان المناطق القطبية أيضا...، وهكذا باقي صيغ "أفعل" التي جاءت في ظاهرها على صورة الأمر، وهي في الحقيقة فعل ماض، يراد منه في ظاهره وفي حقيقته التعجّب.

ومثل النعت هنا غيره من التوابع فكلّ منها يجوز فيه الجر والرّفع.

أمّا إعراب الفاعل المجرور بالباء حيث يكون اسما ظاهرا معربا، أو حيث يكون اسما مبنيا، كالضّمير البارز أو غيره من المبنيّات، ومن الأمثلة الآية الكريمة: "أسمع بهم وأبصر"[2].

فإنّه يكون مبنيا ويذكر في إعرابه: "أنّه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها علامة البناء الأصلي في محل رفع"، ويلاحظ أنّ الضمير الواقع فاعلا في آية: "أسمع بهم وأبصر"، إنّما جاء خلفا عن "واو الجماعة للغائبين، إذ الأصل بناء على التقدير السالف "سمعوا"، ولمّا كانت واو الجماعة لا تكون في محل جر، امتنع وقوعها بعد "باء" الزّائدة لزوما، ولم يكن بدّ من التوفيق بين الأمرين بالاستغناء عن واو الجماعة والإتيان بالضمير "هم" مكانه، لأنّه الضمير الذي يصلح للرفع وللجر مع دلالته على

[1] – عباس حسن: النحو الوافي، ص433، 434.

[2] – مريم: الآية38.

جماعة الغائبين[1]. فهو كسابقه–في أنّه مجرور اللّفظ مرفوع المحل، وفي أنّه يجوز في تابعه الأمران؛ الرفع والجر.

2- أو نقول "أجمِل"؛ فعل أمر حقيقي، وفاعله ضمير مستتر تقديره (أنت)، يعود على مصدر الفعل المذكور (وهو الجمال)، و"بالوردة" الباء حرف جر أصلي، وهي ومجرورها أصليان متعلقان بالفعل، والمراد الملحوظ: يا جمال أجمل بالوردة؛ أي لازمها ولا تفارقها، والخطاب الملحوظ موجّه لمصدر الفعل المذكور، يقصد طلب استمراره ودوام بقائه معه. ويصحّ أن يكون موجّها للمخاطب الذي يراد منه؛ أنه يتعجّب، فيمنع وجوب إبقاء الضمير عل حاله من الإفراد والتذكير، وهذا الوجه الذي ينطبق في يسرٍ وغير تكلفٍ على مثل قول الشاعر:

إذا عمّر الإنسان تسعين حجّة فأَبْلِغْ عمرًا، وأجدر بها شكرًا"[2].

ومثل هذا يقال في الأمثلة الأخرى، والفاعل مفرد مذكر للمخاطب دائما، لأنّه ضمير مستتر للمصدر المخاطب في كل الأحوال، والإعرابان صحيحان، وبهما قال الأقدمون، ولكلّ رأيٍ أنصارٌ، وأدلة مقبولة، فلا معنى لتخريج أحدهما كما يفعل بعض المتسرعين، ومن الإنصاف القبول بالمذهبين، ولكن كثيرا من أدلتهما وتعليلاتهما مصنوع، لا يثبت على التمحيص، ولا يعرفه العربي صاحب هذه اللّغة ولا يدور بخلده، إضافة إلى أنّه لا يساير القواعد النّحوية الأصلية المنتزعة من كلامه، فمن الخبر إهمال الجدليّات والتعليلات الزائفة التّي تتردّد في نواح كثيرة من هذا الباب وغيره"[3]. والمعنى عليهما صحيح أيضا، فلا خلاف بينهما في تأدية الفرض، إلاّ أنّ الإعراب الثاني أيسر وأوضح، وهو إلى عقول ناشئة المتعلّمين أقرب، ويزداد يسرا ووضوحا حين يكون الفاعل المجرور بالباء اسما مبنيّا، كالضّمير وغيره من المبنيات التي تحتاج في إعرابها إلى تطويل، ويلاحظ أنّ صيغة "أفعِل" هذه جامدة – كأختها الأولى– مع أنّ فعلها الأصلي ثلاثي متصرّف، ولكنّه يفقد التصرف بسبب استعماله في التعجب كما أوضحنا"، يقول ابن مالك في باب عنوانه التعجّب:

---

[1] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 345.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – عباس حسن: النحو الوافي. 345

بـ"أفعلَ" انطق بعد "ما" تعجّبا أو جئْ بـ"أَفْعِل" قبل مجرور ببَا

أي انطق بصيغة "أفعل" لأجل التعجب، بشرط أن تكون هذه الصيغة واقعة بعد كلمة "ما" وهيّ ما التعجبية، وإن شئت فجيء بصيغة أخرى هي " أفعِل" وبعدها المتعجب منه (أي من شيء فيه) مجرور بالباء"[1].

ثمّ قال:

وتلو "أفْعَل" انصبنّه، كما أوفَى خلِيلِيْنَا! وأصدق بهما!

أي؛ انصب ما يجيء بعد "أفْعَل"، والذي يجيء بعد "أفعل" هو المفعول به المتعجّب منه، أي من شيء فيه، ثمّ ساق في آخر البيت مثالين:

أحدهما للمتعجّب منه (أي من شيء فيه) المنصوب بعد "أفعل" وهو (خليلينا).

والثاني المتعجّب منه المجرور بالباء بعد "أفعِل" وهو "أصدق بهما".

"ثمّ ساق بيتا ثالثا ضمّنه حكما آخر، هو جواز حذف المتعجّب منه إذا دلّ عليه دليل، ولم يتأثر المعنى بحذفه، بقوله:

وَحَذْفَ ما منه تعجّبْتَ اسبّح إن كان الحذف معناه يضمْ.

ومنعاه يضم أي؛ يتّضِح، والفعل"وضحَ يَضِحُ"، والأصل يَوْضح، ثم حذفت الواو خضوعا لقاعدة حرفيّة تقتضي بحذفها إذا وقعت ساكنة في المضارع وقبلها فتحة أو بعدها كسرة.

ثمّ ذكر بعد هذا بيتا يقرّر فيه أنّ هذين الفعلين ممنوعان من التصرّف، فهما جامدان بحكم تقدير محتوم قرّره النحاة، ونصّ البيت:

وفي كلا الفِعْلَيْنِ قِدْما لَزِمَا منْعُ تَصَرُّفٍ بِحُكْمٍ حُتِمَا.

في ترتيب البيت اللّواء والأصل: ولزم منع تصرف في كلا الفعلين بحكم حتّمَ قِدْما؛ أي قديما.[2]

المبحث الثّانـي: الشروط العامّة لفعل التعجّب

1- شروط الفعل الذي يبنى منه الصيغ القياسية بناءً مباشرا:

[1] – ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، ص 157.

[2] – عباس حسن: النحو الوافي، ص346.

ويشترط فيه ثمانية شروط سبق ذكرها بإيجاز في الأحكام العامّة المتعلقة بالصيغ القياسية وهذا تفصيلها:

1- "أن يكون ماضيا، مع ملاحظة أنّ الفعل الذي يدخل في صيغة التعجّب، يفقد -غالبا- الدّلالة على الزمن عند عدم وجود القرينة في رأي المحققين، ويتجرد منها إلاّ بصورة واحدة"[1].

2- أن يكون ثلاثيا فلا يبنيان من فعل زادت حروفه على ثلاثة، مثل دحرج، انطلق، تعاون، استفهم... إلاّ إن كان الرباعي قبل التعجب على وزن "أفعل" فيجوز -في الرأي الأنسب- صياغتهما منه بشرط أمن اللّبس، كالأفعال (أعطى، أفعل، أظلم، أولى...) فيقال: ما أعطى التقي -ما أفقر الصحراء- ما أظلم عقلاء الجهلاء- ما أولى الناصح بردع نفسه. ومن الشاذ قولهم: ما أخصر كلام الحكماء فبنوه من "اخْتِصِر" الخماسي المبني للمجهول أيضا[2].

3- أن يكون متصرفا في الأصل تصرفا كاملا، قبل أن يدخل في الجملة التعجبيّة، أمّا بعد دخوله فيها فيصير جامدا، حيث يقول ابن مالك:

وفي كلا الفعلين قِدَما لزِمَا منْعُ تَصرُّفٍ بحكمٍ حُتِمَا.

فلا يصاغان من: ليس، وعسى، ونِعْمَ، بِئْسَ... ونحوها من الأفعال الجامدة تماما، ولا من الأفعال ناقصة التصرف، نحو "كاد" التي هي من أفعال المقارنة، لأن "كاد" هذه ناقصة التصرف ليس لها إلاّ المضارع -في الأغلب-[3].

4- أن يكون المعنى قابلا للتفاضل والزيادة، ليتحقق معنى "التعجب"، فلا يصاغان ممّا لا تفاوت فيه، نحو: فَني، ماتَ، غَرِقَ، عمِي، إذ لا تفاوت في الفناء، ولا في الموت، ولا الغرق، ولا في العمى، وحيث يمتنع التفاوت والزيادة في معنى يمتنع الداعي للعجب، إذ يكون المعنى مألوفا[4].

---

[1] – المرجع نفسه، ص349.

[2] – ابن عقيل :شرح ابن عقيل،تح مجد محي الدين عبد الحميد،153.

[3] – المرجع نفسه، ص 153.

[4] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 349.

5- أن يكون مبنيا للمعلوم، فلا يبنى من الفعل المجهول خشية التباس الفاعلية بالمفعولية، لأنّك إن بنيته من (نُصِر) المجهول، فقلت: (ما أنصره!) التبس الأمر على السامع، فلا يدري أتتعجّب من نصرِهِ أم من منصوريته، فإن أَمن اللبس بأن كان الفعل ممّا لا يرد إلا مجهولا في الأفعال المسموعة التي يقال إنّها تلازم البناء للمجهول، مثل: (زُهِيَ، هُزِلَ، عُنِيَ...)، فالأنسب الأخذ بالرأي الذي يجيز صياغة التعجب منها بشرط أمن اللبس، فيقال: ما أَزْهَى الطّووس! وما أهزل المريض!، وما أعناه بالأمر![1]

" فلا بدّ ألاّ يكون مبنيا للمفعول نحو: "ضُرِبَ زيدٌ"، فلا نقول: "ما أضربَ زيدا" تريد التعجب من ضربٍ أوقع به، لئلا يلتبس بالتعجب من ضرب أوقعه[2].

6- أن يكون تامّا (أي ليس ناسخا)، فلا يصاغان من الأفعال الناقصة من "كان" و"كاد" وأخواتهما فلا تقول:" ما أكون زيدا قائما" وقد أجازه الكوفيين[3].

7- " أن يكون مثبتا، فلا يصاغان من فعل منفي، سواء أكان النفي ملازما له، أم غير ملازم، مثل: ما عاج الدواء بمعنى ما نفع، أو جوزا ما ضربتُ زيدا"، مثل: "ما حضر الغائب، فالفعل الأوّل؛ وهو"عاج" الذي مضارعه "يعيج" ملازم للنفي في أغلب الأحوال، لا يفارقه إلاّ نادرا، والفعل "حضر" في هذا التركيب وأشباهه مسبوق بالنفي، ويستعمل بغير النفي كثيرا، وكذلك أفعال أخرى متعددة[4].

8- "ألاّ تكون الصفة المشبهة منه على وزن "أَفْعَلَ" الذي مؤنثه "فعلاء" نحو:(عرج وهي عرجاء)، (خَضِرَ فهو أخضر والحديقة خضراء)، (حمر الجلد فهو أحمر، والوردة حمراء)، (حورَ فهو أحور، وهي حوراء)...

وهكذا من صفة مشبهة تدلّ على لون، أو عيب، أو حلية، ألا ترى أنّك لا تقول: ما أَحْمَرَهُ ولا ما أبيضَهُ، ولا تقول في الأعرج: ما أعرجه، ولا في الأغشى: ما أغشاه، وما لم يكن فيه "ما أفعله" لم يكن فيه "أفعِل به". كما أنّك إذا قلت ما أفعَلَهُ فأنت تريد أن ترفعه من الغاية الدّنيا والمعنى في أفعِلْ به وما أفعلَهُ واحدٌ[5]، "وكذلك لا يبنى من شيء

---

[1] – مصطفى الغلاييين: جامع الدروس العربية، ص 26.

[2] – مجد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل، ص 154.

[3] – المرجع نفسه. ص 153.

[4] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 350.

[5] – عمرو بن عثمان سيبويه: الكتاب، ص 97.

فطري (أي لا ترتاح النّفس للتعليلات التي ذكروها لمنع الصياغة من القسم بأنواعه المختلفة التي لا ينطبق عليها الشرط الثامن)، ولا سيما التعليل بخوف اللبس بين صيغتي "أفعل" التي تستعمل إحداهما في التعجب، والأخرى في الصفة المشبهة فإنّ هذا اللبس وهو لا يتحقق، إذ كيف يتحقق وإحداهما في التعجب، والأخرى اسم، ولكل منها أحكام تغاير الأخرى، فالقرائن قويّة تمنعه ولا علّة إلاّ علّة الاستعمال العربي المجرّد وهو لا يمنع من صياغة التعجب من تلك الأشياء، وكذا "التفضيل" وذلك لسببين:

أوّلهما: وُرود السماع بقدر من تلك الأشياء يكفي للقيّاس عليه.

وثانيهما: شدة الحاجة إلى التعجب منها في عصرنا، بسبب ما كشفه العلم الحديث من التفاوت الواسع في معنى كل منها، والاختلاف البعيد بين أنواعه ودرجاته، وليس من الممكن إغفال هذا التفاوت والاختلاف في استعمالاتنا التي تساير الحياة.

ومثل هذا يقال في صوغ "التفضيل" من الأفعال الدّالة على تلك المعاني، بالرغم من أنّ للنحاة ما يشبه العذر في بعض أنواع التفضيل، ولكنه عذر يمكن دفعه"[1].

ويصرّح بعض أئمة الكوفيين كالكسائي وهشام الضرير وغيرهما، برأي حسن يوافقها سبق، هو صحة مجيء التعجب ممّا يدل على الألوان والعاهات، ووافقهم الأخفش من البصريين في العاهات دون الألوان وبرأي الكوفيين أخذ المجمع اللّغوي.

وفي الشروط السابقة يقول ابن مالك (ساردا سبعة، أمّا الثامن وهو الفعل الماضي فمفهوم من السيّاق)[2].

وصُغْها من ذي ثلاث، صرّفا قابل فضْلٍ، تمّ، غير ذِي انتفا

وغيرِ ذي وصف يضاهي أشهلا وغير سالك سبيلَ فُعِلاَ

يريد: صغهما من صاحب الحروف الثلاثة (وهو الماضي الثلاثي)، المتصرّف، القابل للتفاوت، التام، غير المنفي، والذي صفته المشبهة ليست مثل "أشهل الرجل، فهو: أشهل الأنثى، شهلاء، أي قلّ سواد عينه وخالطتها حمرة، وغير مبني على صيغة "فُعِلَ" وهي

[1] – عباس حسن: النحو الوافي، ص 351.

[2] – المرجع نفسه . ص 352.

صيغة بناء الماضي الثلاثي للمجهول. فهذه سبعة شروط لم يذكر بينهما أنّهما يصاغان من فعل، لا من اسم ولا من حرف، لأنّ هذا الذي تركه مفهوم ممّا سرده[1].

- **ملاحظة:** زاد بعض النحاة شرطا آخر خالف به الأكثرين، ألاّ يستغني عن الصياغة منه بصيغة أخرى مسموعة، فلا يصح: ما أقبلهُ!! في التعجب من قيلولته (وهي وقت اشتداد الحر ظهرا والفعل الماضي: قال) لأنّهم استغنوا عنها بقولهم: ما أكثر قائلته، ولا يصحّ ما أسكره ولا ما أقعده، ولا ما أجلسه لأنّهم استغنوا عنها بقولهم: ما أشدّ سكره، وما أكثر قعوده، ما أحسن جلوسه. "والحق أنّ هذا الشرط غير مقبول (لم يأخذ به المجمع اللّغوي)، إذ يقتضينا أن نرهق أنفسنا بالبحث المضني في جميع المظان لمعرفة ما استغنوا به عن الصيغة القياسية، وهذا تكليف لا يطاق ولا يمكن تحقيقه وفيه تعريف للتعبير، وتعطيل القاعدة وتحويل القياس عن معناه السديد"[2].

2- كيفية التعجّب إذا كان الفعل غير مستوفٍ للشروط الثمانية:

1- إذا كان الفعل جامدا، مثل: نعم وبئس... أو غير قابل للتفاوت، مثل مات، فنِيَ... فلا يصاغ منه صيغة التعجب.

2- "إذا كان الفعل زائدا على ثلاثة (مثل: انصرف وتغلب) أو كان الوصف منه الصيغة مباشرة وإنّما يجيء من فعل آخر مستوف للشروط صالح لما نريده: (نحو: قوِيَ، ضَعُفَ، حَسُنَ، قَبُحَ، عَظُمَ، حَقَرَ) فنقول: (ما أقوى، ما أضعف، ما أحسن، ما أقبح، ما أعظم، ما أحقر، ما أشدّ، ما أكبر، ما أصغر)... ونحو ذلك ممّا يناسب أو نقول: (أقْوِ، أضْعف، أحْسن، أقبحْ، أعْظِمْ، أحْقِرْ)[3] .

"ثمّ نجيء بعد هذه الصيغة بمصدر الفعل الذي لم يستوفِ الشروط بسبب زيادته على ثلاثة أحرف أو بسبب أن الوصف منه على: "أفعل- فعلاء" ونضعه بعد صياغة الفعل الجديد المناسب المستوفي وننصب هذا المصدر بعد "ما أفعل" ونجره بالباء بعد "أفعل" نحو ما أقوى الانتصار الحق! وما أضعف تغلب الباطل! أقو بانتصار الحق! أضعف بتغلب الباطل! ونحو: ما أجمل حور العيون! أجمل بحور العيون! ما أنظر خضرة

---

[1] - مجد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل. ص 155.

[2] - عباس حسن: النحو الوافي. ص 351-352.

[3] - المرجع نفسه. ص 353.

الزرع! أنظر بخضرة الزرع! والأفعال غير المستوفية هي: انتصر، تغلب، حَوِرَ، خَضِرَ، أمّا الأفعال التي تخيّر للصياغة مكانها فهي: قَوِيَ، ضَعُفَ، جَمُلَ، نَضِرَ.

2-إذا كان الفعل منفيا أخذنا الصيغة من الفعل المناسب الذي نختاره بالطريقة السالفة ووضعنا بعدها مضارع الفعل المنفي مسبوقا بـ"أن" المصدرية والنفي، ففي نحو: ما فاز الرأي الضعيف، نقول: ما أجمل ألا يفوز الرأي الضعيف! (كان الفعل ماضيا منفيا قبل التعجب فصار بعده مضارعا مسبوقا بـ"أن المصدرية" وهي تخلصه للاستقبال، فهل بين الصورتين اختلاف في الزمن؟ أجابوا: إنّ الصيغة مع التعجب صارت خالصة لإنشاء التعجب المحض إنشاء غير طلبي، وتركت للدلالة على الزمن، كالشأن الغالب في التعجب عند عدم وجود ما يدل على تقييد زمني مقصود[1].

وفي نحو: ما حضر خطيب الحفل، نقول مثلا: ما أقبح ألاّ يحضر خطيب الحفل.

والمصدر المؤول من أنْ والفعل في هذه الأمثلة وأشباهها في موضع نصب مفعول به. وإنّما أتينا بأنْ والفعل لنستطيع المحافظة على بقاء الفعل الأصلي منفيا، إذ لو أخذنا منه صيغة التعجب مباشرة لزال نفيه. ولم يظهر الشأن في التعجب أهو منفي أو غير منفي؟ ويجوز أن نقول في الصورة السابقة: أجمل بألاّ يفوز الرأي الضعيف! أقبح بألاّ يحضر خطيب الحفل!. فيكون المصدر المؤول مجرورا بالبناء.

فالمصدر المؤول من"أن والفعل" المنفي وفاعله إمّا أن يكون في محل نصب بعد "ما أفعل" وإمّا أن يكون في محل جر بالباء بعد "أَفْعِلْ"[2].

ويجوز في الفعل المنفي أن يجيء بمصدره الصريح -بدلا من المصدر المؤول- مسبوقا بكلمة"عدم" الصريحة في معنى النفي (أو بما يشبهها) ومجرورا بالإضافة إليها، ففي مثل: ما صرخ المتكلم وما همس، نقول: ما أحسن عدم صراخ المتكلم، وما أجمل عدم همسه، أحسن بعدم صراخ المتكلم! وأجمل بعدم همسه!

4- "إذا كان الفعل مبنيا للمجهول بناءً عارضا يطرأ ويزول، أخذنا الصيغة من الفعل الذي نختاره بالطريقة التي شرحناها، ووضعنا بعدها الفعل المبني للمجهول، مسبوقا بـ"ما المصدرية" ففي نحو: عُرف الحق وهُدي إليه الضال! فالمصدر المؤول من "ما"

---

[1] – عباس حسن: النحو الوافي. ص 353.

[2] – المرجع نفسه . ص 353.

وصلتها مفعول به بعد الصيغة الأولى ومجرور بالباء بعد الصيغة الثانية، وإنّما أتينا بـ"ما" المصدرية محافظة على بقاء الفعل مبنيا للمجهول هو أم للمعلوم؟ [1].

"أمّا الفعل الملازم للبناء للمجهول سماعا عند من يقول بهذه الملازمة، فقد سبق أنّ الأنسب الأخذ بالرأي الذي يجيز الصياغة من مصدره مباشرة.

5- وإن كان الفعل ناسخا (أي غير تام) فإن كان له مصدر وجب أن نضع مصدره بعد صيغة التعجب التي تأخذها من الفعل الآخر الذي نختاره على الوجه المشروح فيما سلف[2]

3- التعجب بين البياض والسواد:

اختلف البصريون والكوفيون حول جواز التعجب من البياض والسواد دون غيرهما من الألوان.

فذهب الكوفيون إلى القول إنّه يجوز التعجب من البياض والسواد بأن يستعمل صيغة "ما أفعله" في التعجب خاصة بين سائر الألوان، نحو قولنا: هذا الثوب ما أبيضه!، وهذا الشعر ما أسوده!.

- وقد احتجّ الكوفيون بأن قالوا: "إنما جوزنا ذلك للنقل والقياس"[3]، ففي النقل، قد قال الشاعر:

إذا الرجال شتوا واشتدّ أكلهم فأنت أبيضهم سرْبالُ طباخ.

أي قال: أبيضهم، وإذا جاز ذلك في أفعلهم جاز في "ما أفعله"، و"أفعل به"؛ لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب، وقد قال الشاعر:

جارية في درعها الفضفاض تقطع الحديث بالإيماضِ.

أبيض من أخت بني أباضِ.

---

[1] - عباس حسن: النحو الوافي. ص354.

[2] - المرجع نفسه. ص 355.

[3] - ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. الشركة الدولية للطباعة، ج1، ط1، ص 124.

وقال: "أبيض" وهو أفعل من البياض وإذا جاز ذلك في أفعل من كذا جاز في "ما أفعله" و"أفعل به"، لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب ألاّ ترى أنّه ما لا يجوز في "أفعل من كذا". وكذلك ما جاز فيه "ما أفعله" جاز في "أفعل من كذا، فإن ثبت أنّه يمتنع في الآخر ويجوز فيه ما يجوز في الآخر، دلّ هذا على أنّهما بمنزلة واحدة، وكذا القول في "أفعل به"، فإذا ثبت هذا وجب أن يجوز استعمال "ما أفعله" من البياض.[1]

– أمّا عن القياس فقال البصريون: إنّما جوزنا ذلك من السواد والبياض دون سائر الألوان الأخرى من الحمرة والصفرة وغيرها، فإذا كانا هما الأصليين للألوان كلها جاز أن يثبت لها ما لا يثبت لسائر الألوان، إذا كانا الأصليين لها ومتقدمين عليها[2].

– وما ذهب إليه البصريون أنّهم قالوا لا يجوز أن يستعمل البياض والسواد في التعجب كغيرهما من سائر الألوان، وقد كانت حجّتهم في هذا، ودليلهم أنّه لا يجوز أن يستعمل مما كان لونا غيرهما من سائر الألوان، فكذلك لا يجوز منهما أي من البياض والسواد، أن يأتي على "أفعل" نحو: أحمر وأخضر، وما أشبهه ذلك، أو لأن هذه الأشياء مستقرة في الشخص، لا تكاد تزول فَجَرَت مجرى أعضائه؛ وأي العلتين قدرنا وجدنا المساواة بين البياض والسواد، وبين سائر الألوان في علة الامتناع، فينبغي ألا يجوز فيهما كسائر الألوان.

– والجواب عن كلمات الكوفيين، أم احتجاجهم بقول الشاعر:

... فأنت أبيضهم سربال طبّاخ.

وهنا لا حجة فيه من وجهين، أحدهما؛ أنّه شاذ فلا يُؤخذ به، كما أنشد أبو زيد:

يقول الخَنَا وأُبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجْدَعِ

ويستخرج اليربوع من نا فقائه ومن حجره بالشيخة اليتقصع

فأدخل الألف واللاّم على الفعل، واستعمال مثل هذا الخطأ هو لشذوذه قياسا واستعمالا، فكذلك هاهنا، وإنّما جاء من الضرورة الشعرية، والضرورة لا يقاس عليها، كما لو اضطر إلى قصر الممدود أو إلى مد المقصور، وعلى ذلك سائر الضرورات، ولا يدل

[1] – عباس حسن: النحو الوافي. ص125.

[2] – المرجع نفسه. ص 126.

جوازه في الضرورة على جوازه في غير الضرورة، فكذلك هاهنا فسقط الاحتجاج به، وهذا هو الجواب عن قول الآخر:

... أبيض من أخت بني أباض .

– والوجه الثاني؛ أن يكون قوله: أنت أبيضهم. أفعل الذي مؤنثه فعلاء، كقولك: أبيض وبيضاء ولم يقع الكلام فيه، وإنما وقع الكلام في أَفْعَل الذي يراد به المفاضلة نحو: هذا أحسن منه وجها، وهو أحسن القوم وجها. فكأنّه قال مبيض، فلمّا أضافه انتصب ما بعده عن تمام الاسم وهذا هو.

أمّا في قول الآخر: ... أبيض من أخت بني أباض.

فالجواب: معناه في درعها جسد مبيض من أخت بني أباض، ويكون (من أخت) هاهنا في موضع رفع لأنّها صفة لأبيض، كأنّه قال: أبيض كائن من أخت، كقولهم: أنت كريم من بني فلان ونحوه قول الشاعر:

وأبيض من ماء الحديد كأنّه شهاب واللّيل داج عساكره[1].

فقوله من ماء الحديد في موضع رفع لأنّه صفة أبيض، وتقديره وأبيض كائن من ماء الحديد ونحوه قول الآخر:

لما دعاني السمهري أجبته بأبيض من ماء الحديد صيقل[2].

– وأمّا قولهم إنّما جوزنا ذلك لأنهما أصلان للألوان، ويجوز أن يثبت للأصل ما لا يثبت للفرع، قلنا هذا لا يستقيم، وذلك لأن سائر الألوان، إنّما لم يجز أن يستعمل منها "ما أفعله" و"أفعل منه"، لأنّها لازمت محلها فصارت كعضو من الأعضاء، فإذا كان هذا هو العلة فنقول: هذا على أصلكم ألزم، وذلك لأنّكم تقولون إنّ هذه الألوان ليست بأصل في الوجوه على ما تزعمون بل هي مركبة من البياض والسواد، فإذا لم يجز ممّا كان متركبا منها لملازمته المحل، فكونه لا يجوز ممّا كان أصلا في الوجود وهو ملازم للمحل فإن ذلك ذلك من طريق الأولى[3].

---

[1] – ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. ص126.

[2] – المرجع نفسه. ص 128.

[3] – المرجع نفسه . الصفحة نفسها.

الفصل الثاني

مسائل خلافية حول صيغتي التعجب

الفصل الثاني

مسائل خلافية حول صيغتي التعجب

الفصل الثالث

التعجب في سورة البقرة؛

الجانب التطبيقي

المبحث الأول؛ سورة البقـرة:

1- التسميـة:

سورة البقرة من التسميات المدنية، "فيها مائتان وستة وثمانون آية في العدد الكوفي، وهو العدد المروي عن أمير المؤمنين. علي رضي الله عنه، وسبع في العدد البصري، وخمس حجازي، وأربع سنامي"[1].

سميت السورة الكريمة "سورة البقرة" إحياءً لتلك المعجزة الباهرة، التي ظهرت في زمن موسى الكليم، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله، فعرضوا الأمر على موسى لعلّه يعرف القاتل، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم من هو القاتل، وتكون على قدرة الله عز وجلّ في إحياء الخلق بعد الموت.

إن سورة البقرة من أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي من السور المدنية، التي تعتني بجانب التشريع شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية، لذلك فإنّ فضلها كبير عند الله عز وجلّ لمن يقرأها، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إنّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

وقال الرسول صلى الله عليه وسلّم، في حديث آخر: "اقرأوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة يعني السحرة"[2].

وفي موضع آخر يبين الرسول عليه الصلاة والسلام فضل هذه السورة، ومدى مكانتها في إبعاد الشيطان من بيوت المسلمين، ويظهر هذا في قوله صلى الله عليه وسلّم: "إنّ لكلّ شيء سناما، وسنام القرآن سورة البقرة، ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال"، كما سئل الرسول صلى الله عليه وسلّم عن أيّ سور القرآن أفضل؟ قال: البقرة، قيل: أيّ آيّ البقرة أفضل؟ قال: آية الكرسي[3].

---

1 – الفضل بن الحسين الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، م1– ج1، دط، دت، ص 67.

2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

3 – المرجع نفسه، ص68.

2- فضل سورة البقرة ومضمونها:

يعود فضل سورة البقرة إلى ما تحتويه من أغراض وحكم وأمثال، لذلك نجد غرضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلوّ هديه وأصول تطهير النفوس، وقسم يبيّن شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.

"السورة الكريمة كان ابتداؤها بالرمز، حروف الهجاء "ألم" وهو ابتداء فيه إعجاز وتحدّ للعرب، يقتضي استشرافهم لما يرد بعده وانتصارهم لبيان مقصده، إلاّ أنّه أعقب الآية بالتنويه بشأن القرآن الكريم، وصدق هذا الكتاب وهديه، في قوله تعالى: (ألم... للمتقين)[1]، وقد تناولت الآيات بعدها أربعة أصناف من النّاس يبيّن فيها صفاتهم، وهم المؤمنون المقيمون الصلاة، المؤتون الزكاة، أو المسلمون في قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب ... ينفقون)[2] إلى قوله تعالى: (... أولئك على هدى ... هم المفلحون)[3]، وكذا الكفار والمشركون الذين أنكروا الرسالة وأداروا لها ظهورهم، والمنافقون الذين تفنّنوا في نفاقهم، وفي وصف أتباع الإسلام بأبشع الأوصاف، وأيضا أهل الكتاب، أشد الناس مقاومة لهدي القرآن وأنفذ الفرق قولا في عامة العرب لأنّ أهل الكتاب يومئذ هم أهل العلم ومظنة اقتداء العامة بهم"[4].

وفي هذا التصنيف ورد إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلّم وصدق رسالته، قال تعالى: "وإن كنتم في ريب... كنتم صادقين". ثمّ تحدثت عن بدء الخليفة، فذكرت قصة أبي البشر "آدم" عليه السلام، وما جرى عند تكوينه من الأحداث والمفاجئة العجيبة التي تدل على تكريم الله عز وجلّ وعلا النوع البشري، وتبين نشأة عداوة الشيطان لآدم ونسله تنبها إلى دعوات شهوات الإنسان وضرورة كبحها.

كما تحتوي سورة البقرة على عرض أهمّ الأحداث التي كانت بين اليهود وبين نبيّهم موسى، وما صدر منهم من تعنت وكفر، فطلبوا مائدة من السماء، واعتدائهم على

---

1 – البقرة: الآية 1–2.

2 – البقرة: الآية 3.

3 – البقرة: الآية 4– 5.

4 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، مصر، ج1، ط1–1977، ص204.

حرمة السبت، واتخاذهم العجل، وتمنعهم ذبح البقرة، ثم عرض ما كان لهم من أحداث ومواقف خزي من الأنبياء الذين وقعوا موسى إلى أن تلقوا دعوة الإسلام ومقابلتهم لها بالحسد والعداوة لأن جعلت الحكمة والنبوة في محمّد وقومه من العرب دون اليهود.

وأمّا بقية السورة فقد تناولت جانب التشريع لأنّ المسلمين كانوا في بداية تكوين "الدولة الإسلامية" وهم في أمسّ الحاجة إلى المنهاج الرباني، والتشريع السماوي الذي يسيرون عليه في حياتهم سواء في العبادات أو المعاملات، ولذا فإنّ جماع السورة يتناول الجانب التشريعي وهو باختصار كما يلي:

"أحكام الصوم مفصلة بعض التفصيل، أحكام الحج والعمرة، أحكام الجهاد في سبيل الله، شؤون الأسرة وما يتعلق بها من الزواج والطلاق، والرضاع، وتحريم نكاح المشركات، والتحذير من معاشرة النساء في حالة الحيض، إلى غير ما هناك من أحكام تتصل بالأسرة، لانّها النواة الأولى للمجتمع الأكبر، ثمّ تحدثت السورة الكريمة عن "جريمة الربا" التي تهدد كيان المجتمع، وحملت حملة عنيفة على المرابين، بإعلان الحرب من الله ورسوله على كلّ من يتعامل بالربا أو يقدم عليه، وأعقبت آيات الربا بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب، الذي يجازى فيه الإنسان عن عمله إنْ خيرا فخير، وإنْ شرا فشرّ، وأعقب هذا التحذير "بآية الدين" وهو آخر تنبيه من الله عز وجل على الذين آمنوا، يحثهم على ضرورة كتابة الذين والإشهاد عليه بالعدل، وهو آخر ما كان في مضمون سورة البقرة، وبعدها ختمت السورة الكريمة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة، والتضرع إلى الله عز وجلّ برفع الأغلال ، وطلب النصرة على الكفار والدعاء لما فيه سعادة الدارين "ربَّنَا وَلاَ تَحمل عَلَينَا إصراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الذينَ من قَبلنَا، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمّلنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا به واعفُ عنَّا واغفر لَنَا وارحَمنَا أنتَ مَولاَنَا فانصُرنَا عَلَى القَوم الكَافرينَ"[1].

1 – البقرة: الآية 286.

وهكذا بدأت السورة بأوصاف المؤمنين وختمت بدعاء المؤمنين، ليتناسق البدء مع الختام، وليلتئم شمل السورة أفضل التئام، وقد اخترنا هذه السورة لاعتقادنا أنّها تحوي على أسلوب التعجب بشكل كبير.

المبحث الثاني؛ دراسة دلالية نحوية لأسلوب التعجب في سورة البقرة :

للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام والمسلمين، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في دنياهم، وهو المنبع الصافي الذي ينهلون منه أحكامه ومعاملته في شتى مظاهر الحياة.

كما جاء في القرآن الكريم ردّا على المشركين الذين تمادوا في كفرهم وعصيانهم تبيانا لقدرة الله وإعجازه، ومن بين ما جاء في هذا القرآن من إعجاز سورة البقرة التي سندرس فيها أساليب التعجب بصيغه القياسية والسماعية التي تضمنتها.

الآية 28؛ قال تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون".

أ- المعنى:

في قوله تعالى: "كيف تكفرون": "استفهام للتوبيخ والتعجب والإنكار وهو من باب الالتفات للتوبيخ والتقريع، فهو تعجب سماعي هنا بالاستفهام.

فقد كان الكلام بصيغة الغيبة ثمّ التفت مخاطبهم بصيغة الحضور وهو ضرب من ضروب البديع.

فقوله تعالى: "كيف تكفرون بالله"؛ بمعنى كيف تجحدون وجود الخالق وتنكرون الصانع أو تعبدون معه غيره، وقوله: "وكنتم أمواتا فأحياكم"؛ أي: وقد كنتم في العدم نطفا في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات فأخرجكم إلى الدّنيا، "ثمّ يميتكم" عند انقضاء الآجال "ثمّ يحييكم": أي بالبعث من القبور، وقوله: "ثمّ إليه ترجعون" أي للحساب والجزاء يوم النّشور"[1].

1 - **محمّد علي الصابوني**: صفوة التفاسير، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1،ط1، 1986، ص58.

وقال الضحّاك عن ابن عبّاس: (كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة، ثمّ أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثمّ يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى، ثمّ يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى: فهذه ميتتان وحياتان"[1].

"كيف هنا بمعنى التعجب والتوبيخ لا يعني الاستفهام كأنّه قال: "ويحكم كيف تكفرون بالله والحال أنّكم كنتم أمواتا فأحياكم !؟".

"كيف تكفرون" بمعنى أنّ "كيف": اسم استفهام للسؤال عن الأحوال وليس المراد هنا استعلام المخاطبين عن حال كفرهم وإنّما المراد منه معنى تكثر تأديته في صورة الاستفهام وهو الإنكار والتوبيخ كما تقول لشخص: كيف تؤذي أباك وقد ربّاك؟ ! لا تقصد إلاّ أن ننكر عليه أذيته لأبيه وتوبيخه عليها.

وفي الآية الكريمة التفات من الغيب إلى الخطاب لزيادة تقريعهم والتعجب من أحوالهم الغريبة لأنّهم معهم ما يدعو إلى الإيمان ومع ذلك فهم منصرفون إلى الكفر.

وقوله: "كنتم أمواتا فأحياكم" جارٍ مجرى التنبيه على أنّ كفرهم ناشىء عن جهل وعدم تأمل في أدلة الإيمان القائمة أمام أعينهم.

قال الجمل: والفاء في قوله "فأحياكم" على بابها من التعقيب وثمّ على بابها من التراخي لأنّ المراد بالموت الأوّل العدم السابق وبالحياة الأولى الخلق وبالموت الثاني الموت المعهود بالحياة الفانية فجاءت الفاء وثم على بابيهما من التعقيب والتراخي على حسن التفسير وهو أحسن الأقوال ويعزّى لابن عباس وابن مسعود ومجاهد والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن البعث"[2].

"فنجد في الآية الكريمة معنى الهمزة التي في "كيف" مثله في قوله: "أتكفرون بالله" ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب، ونظيره قولك: أنطير بغير جناح، وكيف تطير بغير جناح. فإن قلت: قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنّه مستحيل بغير جناح، وأمّا الكفر فغير مستحيل، مع ذكر من الإماتة والإحياء. قلت: قد أخرج في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن

1 - إسماعيل بن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ط1، د ت، ص54.

2 – محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص59.

الفكر والداعي إلى الإيمان. فإن قلت فقد تبين أمر الهمزة وأنّها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في "كيف" حيث كان الإنكار للحال التي يقع عليها كفرهم؟ قلت: حال الشيء تابعة لذاته وإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنّها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها عن طريق الكناية وذلك أقوى الإنكار والكفر وأبلغ.

وتحريره أنّه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها، وقد علم أنّ كلّ موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده، ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني.

"والواو" في قوله: "وكنتم أمواتا" للحال، فإن قلت: فكيف صحّ أن يكون حالا وهو ماض، ولا يقال جئت وقام الأمير، ولكن وقد قام إلاّ لأن يضمر "قد"؟ فإن الواو لم تدخل على كنتم أمواتا وحده، ولكن على جملة قوله: "كنتم أمواتا" إلى "ترجعون" كأنّه قيل: "كيف تكفرون بالله وقصّتكم هذه وحالكم أنّكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثمّ يميتكم بعد هذه الحياة ثمّ يحييكم بعد الموت ثمّ يحاسبكم؟ فإن قلت: بعض القصة ماض وبعضها مستقبل، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصحّ أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه، فما الحاضر الذي وقع حالا، قلت: هو العلم بالقصة كأنّه قيل: كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة وبأوّلها وآخرها، فإن قلت: فقد آل المعنى إلى قولك: على أيّ حال تكفرون في حال علمهم بهذه القصة، فما وجه صحّته؟ قلت: قد ذكرنا أنّ معنى الاستفهام في كيف الإنكار، وإنّ إنكار الحال متضمّن لإنكار الذات على سبيل الكناية، فكأنّه قيل: ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فإن قلت: إن اتصل علمهم بأنّهم كانوا أمواتا فأحياهم ثمّ يميتهم فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع؟ قلت: قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه، فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثمّ عاندوا"[1].

ب- الإعراب:

1 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص ص269– 270.

قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله": "كيف في موضع نصب الحال، اسم استفهام للتعجب مبني في محل نصب حال من الواو في "تكفرون"، وهو العامل مضارع مرفوع، والواو فاعل، في موضع آخر: "كيف" في الأصل سؤال عن الحال. فكيف ينتظم جميع الأحوال، ومعناه في الآية التوبيخ، وتقديره متعلقين بحجة تكفرون، فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون. وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب إنّما هو للخلق أو للمؤمنين، أي عجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم.

و(بالله) جار ومجرور متعلق بـ (تكفرون)، (الواو) حالية، (كنتم) فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(تم) ضمير متصل في محل رفع اسم كان (أمواتا) خبر كان منصوب، (الفاء) عاطفة، (أحيا) فعل ماض مبني على الفتح المقدر، و(كم) ضمير في محل نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو"، (ثمّ) حرف عطف في المواضع الثلاثة، (يميت) فعل مضارع مرفوع، (كم) مفعول به والفاعل هو (يحييكم) مثل (يميتكم). (إلى) حرف جر، و(الهاء) ضمير متصل في محلّ في محلّ جرّ متعلق بـ(ترجعون) وهو مضارع مبني للمجهول مرفوع و(الواو) ضمير متصل في محلّ رفع نائب فاعل.

جملة "تكفرون بالله" لا محلّ لها استئنافية، وجملة "كنتم أمواتا" في محلّ نصب حال مع تقدير (قد)، وجملة "أحياكم" في محل نصب معطوفة على جملة "كنتم أمواتا" وجملة "يميتكم" في محلّ نصب معطوفة على جملة أحياكم، وجملة "يحييكم" في محلّ نصب معطوفة على جملة "يميتكم"، وجملة "ترجعون" في محلّ نصب معطوفة على جملة "يحييكم"[1].

الآيــة: 30.

1 –محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ج1، ط3، 1995، ص90.

"وإذ قَالَ رَبُّكَ للمَلاَئكَة إنّي جَاعلٌ في الأَرض خَليفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فيهَا مَن يُفسدُ فيهَا ويَسفكُ الدّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبّحُ بحَمدكَ وَنُقَدّسُ لَكَ قَالَ إنّي أَعلَمُ ما لاَ تَعلَمُونَ".

أ- المعنـــى:

فقد ورد التعجب بهمزة الاستفهام وهو نوع من التعجب السماعي في قوله تعالى: "أتجعل فيها من يفسد فيها" تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، والملائكة قالت هذا القول إمّا عن طريق التعجب من استخلاف الله تعالى لمن يعصيه أو من عصيان الله من يستخلفه في أرضه، وإمّا عن طريق الاستعظام والإكبار للاستخلاف والعصيان، فالاستكشاف هنا عن الحكمة الخفية، وعمّا يزيل الشبهة، وليس استفهاما عن الجعل والاستخلاف نفسه، لأنّهم قد علموه من قبل، فالمسؤول عنه هو الجعل، ولكن لا باعتبار ذاته، بل باعتبار حكمته ومزيل شبهته، أو تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها، أو أن يستخلف مكان أهل الفساد مثلهم، أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية[1].

فالملائكة أظهروا تعجبهم استكشافا عمّا خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد فقالوا على سبيل التعجب والاستعلام: كيف تستخلف هؤلاء، وفيهم من يفسد في الأرض بالمعاصي[2].

فهو تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلاّ الخير، ولا يريد إلاّ الخير، فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنّما هو غيب؟ قلت عرفوه بإخبار من الله، أو من جهة اللوح، أو أثبت في علمهم أنّ الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وكلّ خلق سواهم ليسوا على صفتهم، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة.

ب- الإعـراب:

1 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص252.

2 – محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص56.

"الواو: استئنافية (إذ) ظرف للزمن الماضي مبني في محلّ نصب متعلق بفعل قالوا الآتي، (قال) فعل ماض. (ربّ) فاعل مرفوع. و(الكاف) في محلّ جرّ مضاف إليه. (للملائكة) جار ومجرور متعلق بـ(قال). (إنّ) حرف مشبّه بالفعل للتوكيد و(الياء) ضمير متصل في محلّ نصب اسم، (جاعل) خبر مرفوع (في الأرض) جار ومجرور متعلق بـ(جاعل). (خليفة) مفعول به (اسم الفاعل جاعل منصوب. (قالوا) فعل ماض مبني على الضمّ و(الواو) فاعل. (الهمزة) للاستفهام، (تجعل) فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، (في) حرف جرّ، و(الهاء) ضمير متصل في محل جر متعلق بـ(تجعل). (من) اسم موصول مبني في محلّ نصب مفعول به، (يفسد) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، (فيها) مثل الأول متعلق بـ(يفسد). (الواو) عاطفة (يسفك) مثل يفسد (الدماء) مفعول به منصوب، (الواو) حالية، (نحن) ضمير مستتر تقديره نحن، (بحمد) جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل نسبّح، أي: مشتملين بحمدك، و(الكاف) مضاف إليه (الواو) عاطفة، (نقدّس) مثل نسبّح (اللام) حرف جرّ و(الكاف) ضمير متصل في محلّ جرّ متعلق بـ(نقدّس).

الآيــة 44: "أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بالبرّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتلُونَ الكتَابَ أَفَلاَ تَعقلُونَ".

أ- المعنــى:

"تفيد الهمزة في قوله تعالى: "أتأمرون" التقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم، فهو تعجب سماعي هنا، والبرّ: سعة الخبر والمعروف، ومنه البرّ لسعته، ويتناول كلّ خير، ومنه قولهم: صدقت وبررت، وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السرّ من أقاربهم وغيرهم باتباع محمّد -صلى الله عليه وسلّم- ولا يتبعونه، وقيل: كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون، وإذ أتوا بصدقات ليفرّقوها خانوا فيها، وعن محمّد بن واسع: بلغني أنّ ناسا من أهل الجنّة اطّلعوا على ناس من أهل النّار، فقالوا لهم: قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنّة، قالوا: كنّا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها، "تنسون أنفسكم" وتتركونها من البرّ كالمنسيات، "وأنتم تتلون الكتاب"؛ يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمّد صلى الله عليه وسلّم، أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البرّ ومخالفة القول العمل، "أفلا تعقلون": توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون، لقبح ما

أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه، وكأنّكم في ذلك مسلوبو العقل، لأنّ العقول تأباه وتدفعه[1].

ب- الإعـراب:

قوله تعالى: "أتأمرون"؛ الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ أو للتعجب من حالهم[2] (تأمرون) مضارع مرفوع، والواو فاعل (الناس): مفعول به منصوب، (بالبرّ) جار ومجرور متعلّق بـ(تأمرون)، (أنفسَ) مفعول به منصوب، و(كم) ضمير متصل في محلّ جرّ مضاف إليه، (الواو) حالة، (أنتم ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (تتلون) مثل تأمرون (الكتاب) مفعول به منصوب، (الهمزة) للاستفهام التوبيخي الإنكاري، (الفاء) عاطفة، (لا) نافية، (تعقلون) مضارع مرفوع والواو فاعل.

جملة "تأمرون" لا محلّ لها استئنافية، وجملة "تنسون" لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافية، وجملة "أنتم تتلون" في محل نصب حال من فاعل "تنسون" وجملة "تتلون" في محلّ رفع خبر المبتدأ، "أنتم"، وجملة: "تعقلون" لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافية"[3].

الآيـة: 175؛ قال تعالى: "إنَّ الذينَ يَكتُمُونَ مَا أنزَلَ اللهُ منَ الكتَاب وَيَشتَرُونَ به ثَمَنًا قَليلاً أولَئكَ مَا يَاكُلُونَ في بُطُونهم إلاَّ النَّارَ ولاَ يُكَلّمُهُم اللهُ يَومَ القيَامَة ولاَ يُزَكّيهم ولَهُم عَذَابٌ أَليمٌ(174) أُولَئكَ الذينَ اشتَرَوا الضَلاَلَةَ بالهُدَى والعَذابَ بالمَغفرَة فَمَا أَصبَرَهُم عَلَى النَّار(175)".

أ- المعنـى:

يعني الله سبحانه وتعالى اليهود الذين كتموا صفة محمّد صلى الله عليه وسلّم والبشارة به، عن ابن عباس وقتادة والبدري قيل: كتموا الأحكام عن الحسن والكتاب

1 – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص260.

2 – أحمد بن يوسف: الدرّ المصون، دار القلم، دمشق، دط، ص327.

3 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص115.

على القول الأوّل هو التوراة، وعلى الثاني يجوز أن يحمل على القرآن وعلى سائر الكتب[1].

وقيل كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلّم في كتبهم التي بأيديهم ممّا تشهد له بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا لعنهم الله إذا أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم فكتموا ذلك.

إبقاء ما كان يحصل لهم من ذلك فهو نزر يسير، فباعوا أنفسهم بذلك واعتاظوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان، بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة، فأمّا في الدّنيا فإنّ الله أظهر لعباده صدق رسوله، بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات، فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عونا على قتالهم وجاءوا بغضب على غضب وذمهم الله كما استبدلوا به عرضا قليلا وليس المراد أن اشتروا به ثمنا قليلا كان جائزا بل الفائدة فيه أنّ كلّ ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدّنيا فهو قليل[2]. وفي قوله تعالى: "أُولَئِكَ ماَ يَأكُلُونَ في بُطُونهم إلاَّ النَّار" أي إنّما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة كما قال تعالى: "إنَّ الذينَ يَأكُلُونَ أموَالَ اليَتَامى ظُلمًا إنَّمَا يَاكُلُونَ في بُطُونهم نارًا وَسَيَصلَونَ سَعيرًا"[3]، أمّا قوله: "أُولئكَ الذّينَ اشتَرَوا الضَّلاَلَةَ بالهُدَى" فهنا إشارة من تقدّم ذكرهم، ويعني اليهود؛ أيا اعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول صلى الله عليه وسلّم وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه، استبدلوا عن ذلك واعتاظوا عنه الضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته في كتبهم.

"والعذاب بالمغفرة" أي اعتاظوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من أسبابه.

"فما أصبرهم على النار" وفيها أقوال:

---

1 – أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ص85.

2 – أبو الفداء عماد الدّين ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار الاعتصام، مج 1، ج1، دط، دت، ص286.

3 – سورة النساء: الآية 10.

الأول: أنّ معناه ما أجرأهم على النّار، ذهب إليه الحسن وقتادة ورواه علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبد الله.

الثاني: ما أعملهم بأعمالهم أهل النار عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله.

الثالث: ما أبقاهم على النّار، كما يقال: ما أصبر فلانا على الحبس عن الزجاج.

الرابع: ما أدومهم على النّار أي ما أدومهم على عمل أهل النّار، كما يقال: ما أشبه سخاءك بحاتم[1].

فالتعجب لا يجوز على القدير سبحانه لأنّه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شيء، والتعجب إنّما يكون ممّا يعرف سببه، وإذا أثبت ذلك فالغرض أن يدلّنا على أنّ الكفار حلّوا محلّ من يتعجب منهم.

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أنّهم في عذاب شديد عظيم هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدّة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذا بالله من ذلك، كما قيل أنّ معنى قوله: فماَ أَصبَرَهُم على النَّار"؛ أي ما أدومهم لعمل المعاصي التي تُفضي بهم إلى النّار[2].

وروي عن ابن عباس أنّ المراد أيّ شيء أصبرهم على النّار أي حبسهم عليها، فتكون للاستفهام فيكون المعنى: أيّ شيء أجرأهم على النّار وأعملهم بأعمال أهل النّار وأبقاهم على النّار.

وقال الكسائي: هو استفهام على وجه التعجب، وقال المبرّد: هنا حسن لأنّه كالتوبيخ لهم والتعجب لنا كما يقال لمن وقع في ورطة: ما اضطرّك إلى هذا؟.

إذا كان عيشا عن التعرض للوقوع في مثلها والمراد به الإنكار والتفريع على اكتساب سبب الهلاك وتعجيب الغير منه، ومن قال معناه: ما أجرأهم على النار، فإنّه عنده من الصبر الذي هو الحبس أيضا لأنّ بالجرأة يصبر على الشدة[3].

وقد جاء في تفسير الوسيط للآية: "فما أصبرهم على النّار" أنّها بمعنى ما أجرأهم على فعل المعاصي التي تؤدي بهم إلى النّار حتى كأنّهم بإصرارهم على

---

1 – أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن. ص86– 87.

2 – أبو الفداء عماد ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص286.

3 – أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ص87.

عملها يجلبون النّار إليهم جلبا ويقصدون إليها قصدا دون مبالاة أو تفكّر والمراد من التعجب في هذه الآية الإعلام بحالهم وأنّه لينبغي أن يتعجب منها كلّ أحد وذلك لأنّ المعنى الظاهر من الجملة: التعجب من صبر أولئك الكفار على النّار.

فالتعجب انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر تجهل سببه وهو غير جائز في حقه تعالى لأنّه لا يخفى عليه شيء، ومن هنا قال العلماء: إنّ فعل التعجب في كلام الله تعالى المراد منه التعجب أي جعل الغير يتعجب من ذلك الفعل وهو هنا صبرهم على النار فيكون المقصود تعجيب المؤمنين من جراء أولئك الكاتمين لما أنزل الله على اقترافهم ما يلغي بهم في النار شأن الواثق من صبره على عذابها المقيم، وشبهه بهذا الأسلوب في التعجب. كما أشار صاحب الكشاف –أن نقول– لمن يتعرض لمن يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن !، فأنت لا تريد التعجب من صبره وإنّما تريد إفهامه أنّ التعرض لما يغضبه لا يقع إلاّ ممن شأنه العبر على القيد والسجن، والمقصود من ذلك تحذيره من التمادي فيما يوجب غضب السلطان المستبد[1].

ب– الإعراب:

"أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النّار".

أولئك: اسم إشارة مبني على الكسر في محلّ رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محلّ لها من الإعراب.

الذين: اسم موصول مبني على الفتح في محلّ رفع خبر مبتدأ.

اشتروا: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف فارقة، وحركت الواو بالضم، لالتقاء الساكنين، والجملة (اشتروا...) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

الضلالة: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

---

1 – المرجع نفسه. ص87.

بالهدى: الباء: حرف جرّ مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب.
الهدى: اسم مجرور بالباء وعلامة جرّه الكسرة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الإعراب.
والعذاب: الواو: حرف عطف مبني على الفتح لا محلّ لها من الإعراب، العذاب: معطوف على الضلالة منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.
بالمغفرة: الباء: حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، المغفرة: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بـ: اشتروا.
فما: الفاء: حرف عطف، أو هي استئنافية مبنية على الفتح لا محل لها من الإعراب.
ما: تعجبية نكرة تامة بمعنى شيء مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ[1].
أصبرهم: فعل ماض جامد دال على التعجب مبني على الفتح الظاهري، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، يعود على "ما"، والهاء ضمير بارز متصل مبني على الضمّ في محلّ ننصب مفعول به، والميم للجمع، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو "ما" التعجبية.
والتعجب هنا هو الإعلام بحالهم أنّها ينبغي أن يتعجب منها[2].
على: حرف جر مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.
النّار: "اسم مجرور بـ"على" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بـ: اصبر، وجملة ما أصبرهم على النّار معطوفة على الجملة الاسمية السابقة"[3].

الآيـة 214:

1 – محمّد حسن عثمان: إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، دار الرسالة، القاهرة، مصر، المجلد 1، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص407.
2 – محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص 211
3 – محمّد حسن عثمان: : إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه. ص 407.

قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتهُمُ البَأْسَاءُ والضَرَّاءُ وزُلزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالذِّينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إنَّ نَصْرُ اللهِ قَرِيبٌ".

أ- المعنـى:

يظهر في قوله تعالى: "متى نصر الله" تعجب بالاستفهام حيث إنّ الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر على سبيل المجاز، وهذا يفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ولقد ارتبط هنا بغرض الاستبطاء أي إنّ مجيء النصر بطيء"[1].

فقوله: "أم" منقطعة، ومعنى الهمزة فيها: للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده، ولمّا ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البيّنات –تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وإنكارهم لآياته وعداوتهم له- قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ: "أم حسبتم" "ولمّا" فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة "قد" في الإثبات، والمعنى: أنّ إثبات ذلك متوقع منتظر "مثل الذين خلوا" حالهم التي هي مثل في الشدة، "مسّتهم": بيان للمثل وهو استئناف كأنّ قائلا قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: مستهم البأساء، و"زلزلوا": وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع، "حتى يقول الرّسول ومن معه فيها، "متى نصر الله"، أي: بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك، ومعناه طلب الصبر وتمنيه، واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة، وتماديه في العظم؛ لأنّ الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتّى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها[2].

"والظاهر أنّ جملة "متى نصر الله" من قول المؤمنين، وجملة "ألا إنّ نصر الله قريب من قول الرسول يعني فقيل لهم ذلك إجابة لهم على طلبهم من عاجل

---

1 – عبد الفتاح لاشين: البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنحوية، دار الطباعة المحمّدية، القاهرة، ط1، 1978، ص115.

2 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص422.

النّصر، فنسب القول إلى الجميع إجمالا، ودلالة الحال مبنية، وهذا أولى من قول من زعم أنّ في الكلام تقديما وتأخيرا، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا "متى نصر الله" فيقول الرسول: "ألا إنّ" فقُدّم الرسول لمكانته، وقدم المؤمنون لتقدمهم في الزمان، قال ابن عطية: "هذا تحكّم وحمل الكلام على غير وجهه".

وهو كما قال وقيل: الجملتان من قول الرسول والمؤمنين معا، يعني أنّ الرسول قالهما معا، وكذلك أتباعه قالوهما معا، وقول الرسول "متى نصر الله" ليس على سبيل الشّك، إنّما هو على سبيل الدّعاء باستعجال النصر. وقيل: إنّ الجملة الأولى من كلام الرسول وأتباعه، والجملة الأخيرة من كلام الله تعالى، أجابهم بما سألوه الرّسل واستبطأه الأتباع. فالحاصل أنّ الجملتين في محلّ نصب بالقول"[1].

ب- الإعراب:

"أم" المنقطعة بمعنى بل والهمزة، (حسب): فعل ماض مبني على السكون و(التاء) فاعل والميم حرف لجمع الذكور، (أن) مصدري ونصب (تدخلوا) مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به منصوب والمصدر المؤول (أن تدخلوا) سدّ مسدّا فعليا.

(الواو) حالية، (التاء) حرف نفي وقلب وجزم، (يأت) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، و(كم) ضمير في محلّ نصب مفعول به (مثل) فاعل مرفوع، (الذين) اسم موصول في محل جرّ مضاف إليه، (خلوا): فعل ماض مبني على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعل (من قبل) جار ومجرور متعلّق بـ(خلوا)، و(كم) ضمير مضاف إليه، (مسّ) فعل ماض و(التاء) تاء التأنيث و(هم) ضمير متصل في محلّ نصب مفعول به (البأساء) فاعل مرفوع، (الضراء) معطوف على البأساء بالواو مرفوع مثله، (الواو) عاطفة (زلزل) فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضمّ، والواو نائب فاعل (حتى) حرف غاية وجرّ (يقول) مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد حتى، (الرسول) فاعل مرفوع، والمصدر المؤول (أن يقول) في محلّ جر بـ(حتى)، والمجرور متعلق بـ(زلزلوا)[2].

---

1 – أحمد بن يوسف: الدرّ المصون، ص ص383– 584.

2 – ينظر: محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ص260.

"الواو: عاطفة، (الذين) اسم موصول مبني في محلّ رفع معطوف على الرسول (آمنوا) فعل ماض وفاعله (مع) ظرف مكان منصوب متعلق بـ(آمنوا)، (الهاء) ضمير مضاف إليه، (متى) اسم استفهام مبني في محلّ نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدّم (نصر) مبتدأ مؤخر مرفوع (الله) مضاف إليه مجرور، (ألا) أداة تنبيه، (إنّ) حرف مشبّه بالفعل، (نصر) اسم إنّ منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، (قريب) خبر إنّ مرفوع.

جملة: "وحسبتم" لا محلّ لها من الإعراب استئنافية، وجملة: "تدخلوا" لا محلّ لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي (أن) وجملة: "لمّا يأتكم مثل" في محلّ نصب حال، وجملة "خلوا" لا محلّ لها من الإعراب صلة الموصول (الذين) وجملة "مسّتهم البأساء" لا محلّ لها، استئناف بياني أو تفسيرية، وجملة "زلزلوا" لا محلّ لها من الإعراب معطوفة على جملة مسّتهم البأساء، وجملة "يقول الرسول" لا محلّ لها من الإعراب لها صلة الموصول الحرفي المضمر (أن)، وجملة "آمنوا معه" لا محلّ لها صلة الموصول "الذينّ الثاي، وجملة "متى نصر الله" في محلّ نصب مقول القول، وجملة: إنّ نصر الله قريب" لا محلّ لها استئناف بياني جواب الاستفهام"[1]

الآيــة 243:

قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الذينَ خَرَجُوا منْ ديارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لهُمْ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحياَهُم إنَّ اللهَ لذُو فَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَشكُرُون".

أ- المعنــى:

روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف، وقال أبو صالح: تسعة آلاف، وعن ابن عباس أربعون ألفا، وقال وهب بن منبه وأبو مالك: كانوا تسعة وثلاثين ألفا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا أهل قرية يقال لها: دَوَرْدان، وكذا قال السدى وأبو صالح وزاد من قبل واسط،

1 - المرجع نفسه ، ص261.

وقال سعيد بن عبد العزيز: كانوا من أهل أَذْرَعَان، وقال ابن جريح عن عطاء قال: هذا مثل. وقال علي بن عاصم: كانوا من أهل دوردان قرية علي فرسخ من واسط. وقال وكيع بن الجراح في تفسيره: حدثنا سفيان عن ميسرة عن الحبيب النهدي عن المنهال بن عمرو والأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس "ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت"، قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون"[1].

ألم تر" أي تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجب من شأنهم، ويجوز أن يخاطب به من لم ير، ولم يسمع لأنّ الكلام جرى مجرى المثيل في معنى التعجب، وروي: أنّ أهل دوردان قرية قيل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثمّ أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنّه لا مفرّ من حكم الله وقضائه، وقيل مرّ عليهم حرّ قيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم، فلوى شدقه وأصابعه، تعجبا ممّا رأى، فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى، فنظر إليهم قياما يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ انت، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثمّ أحياهم. "وهم ألوف" وفيه دليل على الألوف الكثيرة، واختلف في ذلك. فقيل: عشرة، وقيل: ثلاثون، فقيل: سبعون، ومن بدع التفاسير: "ألوف": متآلفون، جمع آلف كقاعد وقعودا فإذا قلت: ما معنى قوله: "فقال لهم موتوا"؟، قلت: معناه فأماتهم، وإنّما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنّهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله تعالى ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنّهم أمروا بشيء فاستخلفوه امتثالا من غير إباء ولا توقف؛ كقوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون"[2]. وهذا تشجيع للمسمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن تموت إذا لم يكن منه بدّ ولم ينفع منه مفرجا فأولى أن يكون في سبيل الله، "لذو فضل على النّاس": حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون، كما بصر أولئك، وكما بصركم باقتصاص خبرهم، أو لذو فضل على الناس: حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا، ولو

1 – عماد الدين إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص201– 202.

2 – سورة يس: الآية 82.

شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث، والدليل على انّه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من أمر بالقتال في سبيل الله[1].

ب- الإعراب: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ خَرَجُوا منْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لهُمْ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحياَهُم إنَّ اللهَ لذُو فَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَشكُرُون".

"ألم": الهمزة حرف استفهام تقريري مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

ولم: حرف نفي وقلب وجزم مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

تر: مضارع مجزوم بـ"لم"، وعلامة جزمه حذف حرف العلة في آخره وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره "أنت".

إلى: حرف جر مبني على الفتح في محل جر بـ"إلى"، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلها، وهما في محل نصب مفعول به.

خرجوا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو: ضمير بارز متصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل، والألف للتفريق، وجملة "خرجوا" صلة موصول لا محل لها من الإعراب.

"من": حرف جرّ مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

"ديارهم" اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وديار مضاف، الهاء: ضمير متصل بارز مبني على الكسرة في محل جر مضاف إليه.

والميم للجمع، والجار والمجرور متعلقان بـ"خرجوا".

"وهم ألوف": الواو واو الحال حرف مبني على الكسر لا محلّ له من الإعراب، هم: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ألوف: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وجملة وهم ألوف: في محلّ نصب حال[2].

"حذر الموت": مفعول لأجله منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة إقامة الفعل "خرجوا" وفيه شروط النصب، أعني المصدرية، واتجاه الفاعل والزمان، وحذر: مضاف. الموت: مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، من إضافة المصدر لمفعوله.

---

1 - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ص407.

2 - الزمخشري: الكشاف. ص408.

"فقال لهم الله": الفاء: حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، قال: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر على آخره.

لهم: اللام: حرف جر مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والهاء ضمير بارز متصل مبني في محلّ جر باللام، والميم: علامة الجمع، والجار والمجرور متعلقان بقال، الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

"موتوا": فعل أمر مبني على السكون في محل رفع فاعل، والألف فارقة، والجملة في محل نصب مقول القول.

"ثمّ": حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، أحياهم: فعل ماض مبني على الفتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود على الله. والهاء ضمير بارز متصل مبني على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، والميم للجمع، وقوله "ثمّ أحياهم": معطوفة على محذوف، تقديره: "فماتوا ثمّ أحياهم".

"إنّ": حرف توكيد ونصب مبني على الفتح الظاهر على آخره.

الله: لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

"لذو فضل على النّاس": لذو: اللام هي المزحلقة حرف مبني على الضمة، لأنّه من الأسماء الستة، ذو: مضاف، فضل: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، على: حرف جر مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب. الناس: اسم مجرور بـ"على" وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بفضل.

"ولكن" الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، لكنّ: حرف استدراك مبني على الفتح من أخوات إنّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر[1].

"أكثرَ": اسم لكنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

"النّاس": مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

لا: حرف نفي مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

---

1 – محمد حسن عثمان: إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، ص601– 602.

"يشكرون": فعل ماض مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة في محل رفع خبر لكنّ، والجملة الاسمية (لكنّ....) معطوفة على ما قبلها[1].

الآيـة 258– 259:

قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظالمينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تبيّنَ لَهُ قال أعلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كلّ شيء قَدير(259).

أ– المعنـى:

"ألم تر": تعجب من محاجة نمرود في الله وكفره به، وفي هذه الآية (258) تعجب سماعي بهمزة الاستفهام "ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربّه"، قال الزمخشري: ألم تر: تعجبت من محاجة نمرود في الله وظفره به[2].

وقد قال الصابوني: إدخال العرب "إلى" في هذا الموضع على جهة التعجب، كما تقول للرجل: أما تر إلى هذا، والمعنى: هل رأيت مثل هذا، فهو تعجب للسامع من هذا الكفر، المجادل في قدرة الله تعالى، أي ألم ينته علمُك إلى ذلك المارد، وهو النمرود بن كنعان، الذي جادل إبراهيم في وجود الله[3].

"أن أتاه الله الملك" وهنا تعلّق بحاجّ، على وجهين: **أحدهما** حاجّ لأن آتاه الله الملك، على معنى أنّ إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعُتُوّ فحاج لذلك، أو على أنّه وضع

1 – المرجع نفسه. ص603 .

2 – الزمخشري: الكشاف، ص155.

3 – محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير. ص149.

المحاج في ربّه موضع ما وجب عليه من الشكر على أنّ الله أتاه الملك، فكأنّ المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأنّي أحسنت إليه، تريد أنّه عكس ما كان يجب عليه من المولاة، نحو قوله تعالى: "وَتَجعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ".

والثاني: حاج وقت أن أتاه الله الملك، فإن قلت: كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر؟ قلت فيه قولان: أتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدع والأتباع، وأمّا التغليب والتسليط فلا، وقيل ملكه امتحانا لعباده، "وإذا قال": وهنا نصب بحاج أو بدل من أتاه إذ جعل بمعنى الوقت، "أنا أحي وأميت": كما يريد هنا أعفو عن القتل أي كما وردت في الصحاح عفوت من ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، وفيه أعفي من الخروج معك أود منه، وكان الاعتراض عنيدا، ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق، لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليهبه أول الشيء، وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجّة إلى حجة، وقُرئت:" فبهت الذي كفر": أي فغلب إبراهيم الكافر، وقد قرأ أبو حيوة: فبهت، بوزنِ قرُب، وقيل: كانت هذه المحاجّة حين كسر الأصنام وسجنه نمرود، ثمّ أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: منْ ربّك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربّي الذي يحي ويميت، "أو كالذي": معناه هنا: أو أرأيت مثل الذّي مرَّ، فحذف لدلالة "ألم تريد" عليه، لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب، ويجوز أن يحمل إلى معنى دون اللفظ، كأنّه قيل: أرأيت كالذّي حاجَ إبراهيم، أو كالذّي مرّ على قرية، والمار كان كافرا بالبعث، وهو الظاهر لانتظامه مع النمرود في سلك[1]، ولكلمة الاستبعاد التي هي: أتى يحي، وقيل: هو عزيز أو الخضر، أراد أن يعاين إحياء الموتى، ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم–عليه السلام–، وقوله:" أنّى يحي": اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحي، والقرية: بيت المقدس خربه بختنصر، وقيل: هي التي خرج منها الألوف، "يوما أو بعض يوم": بناء على الظن، وروي أنّه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس: يوما، ثمّ التفت فروى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم، وروى أن طعامه كان تينا وعنبا، وشرابه عصيرا أو

1 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ص 488.

لبنا، فوجد التين والعنب كما جنبا، والشراب على حاله، "لم يتسنّه": أي لم يتغير، والهاء أصلية أو هاء السكن، واشتقاقه من السنة على الوجهين: لأنّ لامها هاء أو واو، وذلك أنّ الشيء يتغير بمرور الزمان، وقيل: أصله يتسنن من الحمأ المسنون، فقلبت نونه حرف علة، كنقضي البازي، ويجوز أن يكون معنى، "لم يتسنّه" أي بمعنى لم تمرّ عليه السنون التي مرّت عليه، يعني هو: بحاله كما كأنّه لم يلبث مائة سنة، "وانظر إلى حمارك": كيف تفرقت عظامه ونخرت، وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يردّ: انظر إليه سالما في مكانه كما ربطته، وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء، كما حفظ طعامه وشرابه من التغيير[1]، "ولنجعلك آية للناس": فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه، وقيل: أتى قومه راكب حماره، وقال أنا عزيز، فكذّبوه، فقال: هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذاً أي يسرع بها عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما هرم حرفاً، فقالوا: هو: ابن الله، ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزيز، وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب، فإذا حدّثهم بحديث، قالوا: حديث مائة سنة، "وانظر إلى العظام": أي هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجّب من إحيائهم، "كيف ننشزها" أي كيف نحييها، "قال أعلم أن الله على كلّ شيء قدير": فحذف الأول، للدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربني وضربت زيدا، ويجوز: فلمّا تبين له ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى، وقرأ ابن عباس –رضي الله عنهما– فلمّا تبين له على البناء للمفعول، وقرئ: قال اعلم، على لفظ الأمر، وقرأ عبد الله: قيل اعلم فإن قلت: فإن كان المار كافرا فكيف يسوغ أن يكلّمه الله؟، وعاد كلامه قال: فإن قلت:"إذا كان المار كافرا... فقيل هذا سؤال عجيب، والجواب عنه أعجب منه، ومن سلم لهذا السائل أنّ الله تعالى لا يسوغ أن يكلم الكافر؟ وهل إلا خطب بلا أصل؟ أليس أن إبليس رأس الكفر ومعدته ومع هذا قال تعالى: "فأخرج عنها فإنّك رحيم"، ويقول تعالى للكفار وهم بين أطباقها يعذبون، "اخشوا فيها ولا تكلمون" ولأنّ هذا الأمر متيقن وقوعه فضلا: عن جوازه أول العلماء قوله تعالى: "ولا يكلّمهم الله" بمعنى ولا

1 – المرجع نفسه. ص 489.

يكلمهم بما يسرهم وينفعهم ما هذا وجه تعجبي من السؤال، وأمّا الجواب بأن هذا المار على القول بأنّه كان كافرا قلت: كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافرا"[1].

ب- الإعراب:

"ألم": الهمزة حرف استفهام مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، وهذه الهمزة دخلت على حرف النفي فصيرت النفي تقريرا، لم: حرف نفي وجزم وقلب مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

"تر": فعل مضارع مجزوم ب لم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الألف، والفتحة دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره "أنت".

"إلى": حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

"الذي": اسم موصول مبني على السكون في محل جر ب إلى، والجار والمجرور متعلقان بـ " تر" ولا بد من حذف مضاف أي: إلى قصّة الذي حاجّ.

"حاجّ": فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو يعود إلى الذّي.

"إبراهيم": مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة والجملة "حاجّ إبراهيم" صلة الموصول لا محل له من الإعراب.

"في": حرف جر مبني على السكون لا محل لها من الإعراب.

"ربّه": اسم مجرور ب "في" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وربّ: مضاف، والهاء: ضمير بارز متصل مبني على الكسر في محل جر مضاف إليه، والجار والمجرور بحاجّ.

"أنّ": حرف مصدري ونصب مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

"ءاتاه": فعل ماضي مبني عل فتح مقدر على الألف للتعذر وهو في محل نصب بأن، والهاء ضمير بارز متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به أول، وقوله: أن آتاه مفعول لأجله على حذف حرف العلة، أي: لأن آتاه.

"الله": لفظ الجلالة فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة.

---

1 – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ص 490.

"الملك" مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بحرف تعليل محذوف والتقدير لإتيانه.

"إذ": ظرف لما معنى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ جاع.

"قال": فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره.

إبراهيم: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة في محل جر بإضافة إذ إليهما.

"ربّي": مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، ورب: مضاف، وياء المتكلم ضمير بارز متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.

"الذي": اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر للمبتدأ، وجملة "ربّي الذي يحي ويميت" في محل نصب مقول القول.

"يحي": فعل مضارع مرفوع ليجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره "هو" يعود إلى ربّي، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

"ويميت" الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، يميت: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ومفعول الفعلين محذوف للتعميم، وفاعل الفعل "يميت": ضمير مستتر جوازا تقديره: هو يعود إلى ربّي، والجملة معطوفة على ما قبلها[1].

قال: فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره "هو".

أنا: ضمير منفصل مبني على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

أحيي وأميت: أحيي: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا

1 – محمد حسن عثمان: إعراب القرآن الكريم، ص 651–652.

تقديره: أنا، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة (أنا أحيي) في محل نصب مقول القول، الواو: حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

أميت: فعل مضارع مرفوع لتجرد من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، والجملة معطوفة على ما قبلها.

"قال": فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره.

إبراهيم: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

"فإنّ الله": الفاء هي النصيحة مبنية على الفتح لا محل لها من الإعراب، وسميت بالفصيحة لأنّها أفصحت عن شرط مقدر، إذ التقدير: إذا كنت قادرا كقدرة الله فإنّ الله ... ، إن: حرف توكيد ونصب مبني على الفتح الظاهر على آخره لا محل له من الإعراب.

الله: لفظ جلالة اسم إنّ منصوب، وعلامة نصبه فتحة الهاء تعظيما[1].

"يأتي": فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها من الثقل، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره "هو" عائد إلى الله، والجملة في محل رفع خبر إنّ، وجملة "إنّ الله يأتي بالشمس لا محل لها من الإعراب، لأنّها جواب للشرط المقدر، والشرط المقدر ومدخوله في محل نصب مقول القول.

"بالشّمس": الباء: حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، الشمس: اسم مجرور بالباء، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان ب "يأتي".

"من": حرف جر مبني على السكون لا محل لها من الإعراب.

"المشرق": اسم مجرور ب "من" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

1 – محمد محسن عثمان: إعراب القرآن الكريم. ص 653.

"فأت هما": الفاء حرف عطف مبني على الفتح لا محل لها من الإعراب. إئت: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره وهو الياء والكسرة دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره: أنت.

"بها": الباء حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، وها: ضمير بارز متصل مبني على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

"من": حرف جر مبني على السكون لا محل لها من الإعراب.

"المغرب": اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أيضا، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية "فإنّ الله يأتي بالشمس" فهي كذلك جواب للشرط المقدر، وداخله في مقول القول[1].

"فبهت": الفاء حرف استئناف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، بهت: فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره.

"الذي": اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل.

"كفر": فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وجملة "بهت الذي كفر" مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

"والله": الواو حرف استئناف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

"لا": حرف نفي مبني على السكون لا محل لها من الإعراب.

"يهدي": فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو، يعود إلى الله سبحانه، والجملة في محل رفع خبر للمبتدأ.

"القوم": مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

---

1 – المرجع نفسه . ص 653.

"الظّالمين": صفة للقوم منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة، لأنّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

"أو كالذّي": أو حرف عطف مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

كالذي: الكاف اسم بمعنى مثل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: أرأيت مثل الذّي، الذّي: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بإضافة الكاف إليه.

– وهنا كما أشار الزمخشري وأبو البقاء، أو كالذّي: معناه أو رأيت مثل الذي "تحذف للدلالة" "ألم تر" عليه، لأنّ كلتيهما كلمتا تعجّب[1].

"مرّ": فعل ماضي مبني على الفتح الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

على: حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

قرية: اسم مجرور ب"على" وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بـ"مرّ".

"وهيّ": الواو والحال حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، هي: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.

خاوية: خبر للمبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجملة في محل نصب جال من فاعل مرّ، والواو هنا رابطة بين الجملة الحالية وصاحبها، والإتيان بها واجب لخلو الجملة من ضمير يعود إليه[2].

1 – محمد محسن عثمان: إعراب القرآن الكريم. ص 654.

2 – محمد محسن عثمان: إعراب القرآن الكريم . ص 655.

خاتمة

المصادر والمراجع

قائمة بيبلوغرافية للمصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، الشركة الدولية للطباعة، ج1 ط1، دت.
2) البياتي (سناء حميد): قواعد النحو العربي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1 2003.
3) الجرجاني (عبد القادر): دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، ط2 1979.
4) حسن (عباس): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج3، ط12 1980.
5) الحلواني (محمد خير): المنجد في الإعراب والبلاغة والإملاء، مكتبة دار الشرق، ط4، دت
6) الراجحي (عبده): التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، دت.
7) الزبيدي (محمّد مرتضي): تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط2 1306هـ.
8) الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، مصر، ط1، 1977
9) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج4، ط2- 1949م.
10) السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر):
   - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1418هـ/1998م.
   - الأشباه والنظائر في النحو، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، ج3، ط3، 1423هـ/ 2003م.

11) الصابوني (محمد علي): صفوة التفاسير، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1986

12) صافي (محمود): الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ج1، ط3- 1995.

13) صالح (عبد علي حسين): النحو العربي، دار الفكر، عمان، ط2، دت

14) الطبرسي (أبو علي الفضل بن المسين): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، مج1، ج1، دط.

15) الطنطاوي (محمد سيد): التفسير الوسيط، ج1

16) عبد الحميد (محمد محي الدين): عدة المسالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1423هـ.

17) العكبري (أبو البقاء): اللباب في علل البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ج1، ط2، 1995م.

18) عطية (محسن علي): الأساليب النحوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1.

19) عثمان (محمد حسن): إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه، دار الرسالة، القاهرة، مصر، المجلّد الأوّل، ط1- 1423هـ - 2002م

20) ابن عصفور (علي بن مؤمن): شرح جمل الزجاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1898

21) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تح: محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، ج3، ط20، 1400هـ/ 1980م

22) الغلاييني (مصطفى): جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج1، ط28، 1993م.

23) ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل):

- تفسير القرآن الكريم، مج1، دط.
- مختصر تفسير بن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، ط1، دت

24) لاشين (عبد الفتاح): البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنحوية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1- 1978.

25) ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله): شرح الكافية الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1-1420هـ/ 2000م.

26) المحلي (أمين الدين أبي بكر محمّد بن علي): مفتاح الإعراب، دار بن حزم، ط1.

27) المخزومي (مهدي): في النحو العربي، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/ 1986م.

28) ابن منظور: لسان العرب، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ج9، ط1، دت

29) ابن الناظم: شرح ابن الناظم

30) هارون (عبد السلام): الأساليب الإنشائية في النحو، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5- 1421هـ، 2001م.

31) ابن هشام (عبد الله جمال الدين): شرح قطر الندى وبلّ الصدى، المكتبة التجارية الكبرى، ج11، ط1، 1383هـ/ 1963م

32) يوسف (أحمد يس): الدار المصون، دار القلم، دمشق، سوريا، دط.

33) ابن يعيش (بن علي): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج7، دط.

فهرس الموضوعات:

- مقدمة
- مدخل
- الفصل الأوّل: التعجب ماهيته وشروطه

المبحث الأوّل: مفهوم التعجّب وأساليبه وإعرابه

1-تعريف التعجّب:

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2-أساليب التعجّب:

أ- الصيغ السماعية

ب-الصيغ القياسية

3-إعراب التعجّب:

أ-إعراب صيغة (ما أفعلَ)

ب- إعراب صيغة (أفعل به)

المبحث الثاني: الشروط العامة لفعل التعجّب

1-شروط الفعل الذي تبنى منه الصيغ القياسية بناء مباشرا

2- كيفية التعجّب من الفعل غير المستوف للشروط

3- التعجّب من البياض والسّواد

- الفصل الثاني: مسائل خلافية حول صيغتي التعجّب

المبحث الأول: الأحكام الخاصّة بالتعجّب الاصطلاحي

1-حكم وحذف المتعجّب منه:

أ- حكمه

ب-حذفه

2-حكم همزة الماضي "أفعلَ" وهمزة "أفعِل"

3-السرّ في عدم تصرف فعلي التعجّب

4- الأسباب التي تدعو إلى التصغير

المبحث الثاني: التصرف في الجملة التعجبية

1- التقديم والتأخير والفصل بين فعل التعجّب ومعموله

2- "أَفعَلَ" في التعجّب بين الاسم والفعل

3- عمل "أفعل" بين المعرفة والنكرات

- الفصل الثالث: التعجّب في سورة البقرة (دراسة تطبيقية)

المبحث الأول: سورة البقرة

1- التسمية

2- فضل سورة البقرة ومضمونها

المبحث الثاني: دراسة دلالية نحوية لأسلوب التعجّب في سورة البقرة

- خاتمة
- قائمة ببليوغرافية للمصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات.